هدية إلهية

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

- **الكتاب: هدية إلهية**
- **المؤلف: محمد سعد شاهين**
- **نوع العمل: مجموعة قصصية**
- **الطبعة الأولى 1442 هـ - 2020 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**
- **رقم الإيداع: 19755 / 2020**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 9789776845138**
- **الرقم الكودي في ببلومانيا:bl00354**
- تصميم الغلاف: ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- المدير التنفيذي: محمد جلال
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 002022402029 - 002026061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
ببلومانيا للنشر والتوزيع
fb.com/bibliomania.eg/
bm.e:books.bibliomania/
ببلومانيا - Books
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

هدية إلهية

مجموعة قصصية

تأليف

محمد سعد شاهين

www.bbibliomania.com

2020

عبر الزمن

كان رقم 153..
كان مثل باقى المشاركين الذين تمنوا الفوز فى الاختبار، والمشاركة فى التجربة الفريدة..
آلة الزمن..
إحدى أكبر شركات التكنولوجيا فى العالم، ذات العلامة الشهيرة، والتي تكفى وجودها ضمان وجودة المنتج أعلنت عن الاكتشاف التاريخي ..
رحلة عبر الزمن. .
وطلبت متطوعين، و سردت قائمة من الشروط والمواصفات ..
وتقدم الآلاف من الأشخاص. .
كان منهم ..
كان يسعى إلى الرحلة بإصرار من فولاذ..
يخطو بثبات خطوات تقربه من نيل الفوز..
كان وحيدا، ليس له عائلة ..
وكان ذلك سبب هام من أسباب قربه للفوز، فقد كان وجود العائلة يعرقل بعض الأشخاص ويستبعدهم من المسابقة لخطورة الرحلة وعواقبها..
وبالفعل تم اختياره مع بعض المشاركين لبدء التجربة ..
كان هناك شرط هام ..
الرحلة لمجرد التجربة، وليس لتغيير أي حركة فى مجرى التاريخ. .
السجن هو عقوبة من يحاول فقط تغيير حدث فى التاريخ..
وقبِل الشرط..
وبدأ الاستعداد للرحلة ..

وقف مع المشاركين فى ساحة واسعة تضم العديد من الأجهزة الحديثة التى لم يرى مثلها من قبل ..
ارتدى ما يشبه حزام به ساعة غريبة الشكل تضم تقويمات ولائحة بعدة أماكن مختلفة..
طلب منهم ضبط تقويم ومكان محدد ..
وفى خفة، ضبط هو موعدا آخر، ومكانا مختلف ..
بدأ يشعر باهتزاز عنيف يجتاحه، وبدت الصورة ضبابية لمدة دقيقة كاملة. .
شعر باستقرار ..وعادت الصورة تتضح أكثر فأكثر..
ارتجف فى شدة عندما رأى أمامه ما كان يتمناه ،ويحلم به ليلا نهارا..
كان أمام منزل قديم تحيط به أشجار من كل جانب ..
بدون ذرة من التردد، انطلق داخل المنزل ..
صعد درجات السلم فى قفزات واسعة..
دق أول باب يقابله ..
شعر بارتجافه عنيفة تجتاحه، وسمع دقات قلبه الذى كاد يقفز من بين ضلوعه..
كانت الثواني أشبه بدهر وهو فى الانتظار. .
تحول وكأنه تمثال من الثلج وهو يسمع صوت قادم يفتح الباب..
كان على وشك تغيير مجرى حياته بالكامل..

----------؛

وقف ثابتا فى مكانه ،أنفاسه تتلاحق ،ودقات قلبه تتزايد ..
رأى أمامه الباب يفتح ويطالعه وجه فتاة صغيرة، جميلة الملامح، اتسعت عيناها فى سعادة وتهدج صوتها وهى تنادى باسمه ..
-أحمد
تساقطت الدموع من عينيه، وهو يحتضنها فى قوة، ويقول فى صوت ملئ بالشجن :

- اشتقت لكِ يا هند، أدرك أن الغربة قد باعدت بيني وبينكم فترة طويلة ..أنا آسف.
هند :
-لا عليك يا أخي ، أنا أعلم أنك كنت منهمك في عملك، لقد اشتقت لك يا أخي العزيز..
تلفت حوله فى تساؤل وهو يقول :
-في أي حجرة يتواجد أبي ؟. .
أشارت إليه إلى غرفة ،فأسرع إليها وفتح بابها ..
رآه..
كان والده مستلقيا على فراشه ،مريضا. .بلا حراك ..
لم يستطع التغلب على انفعالاته ..
انهمرت الدموع منه وبدأ يبكى بصوت مرتفع ..
سمع صوت والده وهو يقول فى خفوت شديد ويحاول أن يلتفت إلى مصدر صوت البكاء فى صعوبة :
- أحمد ..أنت أحمد ..أليس كذلك ؟!
هرول أحمد إليه فى لهفه ،واحتضنه. .
التصق فى جسده ..
لم يحاول منع دموعه من الانهيار كالفيضان..
أو جسده من الارتجاف..
وفى صعوبة بالغة ،مد والده يده ليحتضنه هو الآخر ويحتويه مثلما احتواه صغيرا..
كان كلا منهما يلتصق فى الآخر ويغوص داخله ،وكأنهما شخصا واحدا..
كلا منهما بداخله مشاعر غامرة لا يكفى الكلام لتفسيره أو ترجمته..
وأخيرا نطق أحمد :
- أنا آسف ..كان من المفروض أن أكون معك، بجانبك، لكنني عدت اليوم لأكون برفقتك، في المرة السابقة أتيت بعد فوات الأوان، كان من الضروري أن أصحح الخطأ

الذي وقعت فيه من سنوات ماضية، عملي وحياتي وسفري جعلوني تائه عنك وعن شقيقتي ..

تمتم الأب فى صعوبة:

- قلبي لا يحمل لك سوى الخير يا ولدي ..لكن كن دائما بجانب شقيقتك .

ثم مد يده ولمس وجه أحمد فى أبوة حنونة، وأغمض عينيه فى سلام ..

رحل فى هدوء ..

ظل أحمد محتضنا له، وكأنه يأبى الرحيل..

ثم شعر بهزة عنيفة ،وبدت الرؤية ضبابية مرة أخرى. .

ثم عادت الصورة تتجسد أمامه ..

عاد لزمنه. .

رأى أمامه الساحة الواسعة التى كان فيها من قبل ورأى بعض العلماء القائمين على الرحلة ..

سمع أحدهم يهتف :

- لقد خالفت القواعد، غيرت فى مجرى التاريخ .

سمع الثاني يصرخ:

- ستسجن حيال ذلك .

هتف ثالثهم:

- عقوبتك السجن لا محالة .

صمت أحمد، ثم تنهد فى قوة وهو يقول فى لهجة امتلأت بالراحة والطمأنينة :

-أنا مستعد لأى عقوبة مهما كانت ، أنا أخطأت فى الماضي ..وأُتيحت لي فرصة أصلح بها خطأ عشت دوما أعاني مرارته..وعلى استعداد تام لدفع الثمن..سجنكم أتفه بكثير من السجن الذي عشت بداخله طوال الأعوام السابقة..

صمت لحظة، ثم أردف فى ارتياح :

- أنا أخيرا أصبحت حرا.. تمت

العمدة

ترقب الجميع وصول العمدة الجديد..
ورغم معرفتهم به لأنه واحدا من أهل البلد، ومن نفس عائلة العمدة السابق، إلا أنهم كانوا مترقبين وصوله بتحفز من داره إلى دار العمدة..
كانوا قد علقوا جميع آمالهم وأحلامهم عليه..
هم بأنفسهم بعثوا مئات الشكاوى للمديرية والمركز وحتى المحافظ من أجل إعفاء العمدة القديم من منصبه ..
كان قد طفح الكيل من تصرفاته التى جعلت قريتهم أفقر من ذي قبل..
وباع الجميع ما يملكونه من أجل لقمة العيش..
وبارت الأراضي ..
وتفشى المرض..
وخيم شبح الموت على قريتهم..
ولهذا قرر الجميع أن يثور..
وأن يبعث الشكاوى لكل من له اختصاص بشؤون البلد..
وفى النهاية، تم اعفاءه من منصبه ، وتعيين الحاج (عامر السكري) بدلا منه..
وفعلا سمع الجميع شيخ البلد وهو ينادى بصوت عال:
-لقد أتى العمدة .
صمت الجميع ..
وفعلا ظهر العمدة الجديد في مظهر متواضع، وابتسامة حانية.

علت أصوات الترحيب بالعمدة الجديد، فأشار لهم حتى يلزموا الصمت..
جلس على مقعده وهو يقول فى هدوء:
-أنا أشكركم جدا على هذه الثقة و إن شاء الله أكون تحت حسن الظن.

هتف أحد الموجودين فى انفعال:
-أكيد يا حضرة العمدة ..حضرتك الحاج (عامر السكرى) صاحب الكرامات كلها، والبلد كلها تعلم أصلك الكريم..
قاطعه أحد الشباب الواقفين وقال فى لهجة لم ترق للعمدة:
- الأهم من كل ذلك الفعل والعمل وليس الشعارات.
قال العمدة فى هدوء:
-أنا سأثبت لك أننى أريد خيرا لأهل البلد، ماذا تريد مني أن أفعل وسأنفذه فورا؟
فكر الشاب قليلا ثم قال:
-شيخ البلد يا عمدة لابد من رحيله لأنه كان مع العمدة السابق.
تنهد العمدة وهو ينظر لشيخ البلد الذى ارتجف عندما قال له العمدة:
-يرحل. أنا كنت سأفعل ذلك فورا قبل أن تتفوه بكلمة واحدة. .
ثم نظر للشاب الذى كان يتحداه ووجه كلامه إليه:
- ومن اليوم أنت شيخ البلد الجديد .
وكانت مفاجأة للشاب.
الزمان: الساعة السابعة مساءا
المكان: دار الحاج (محروس)..
كان شيخ البلد الجديد ذلك الشاب الذى كان يتحدى العمدة يجلس مع خطيبته الحسناء ومعه والدها الحاج (محروس)..
الحاج محروس:
- يا (محمود) يا ولدي أنت من وقت توليك منصب شيخ البلد وأنت أصبحت تحت عباءة العمدة .
محمود:

- ماذا تقصد يا حاج ؟! أنا لم أرى منه ما يشين منذ أصبح العمدة وهو يحرص على أن يرضي الجميع ، أعاد ترميم الوحدة الصحية ، والمدرسة الابتدائية، وأعاد حقوقا كثيرة كانت قد ضاعت منذ فترة طويلة.

الحاج محروس:

_ أنا أتحدث عن شباب البلد، ما زالوا يجلسون على المقاهي ليلا نهارا، والوحدة الصحية لا يوجد بها طبيبا واحدا، والمدرسة ليست مؤهلة للعمل والدراسة ستبدأ بعد أسبوع واحد.

هب (محمود) من مكانه ثائرا، واتجه نحو باب الدار وهو يقول في انفعال:

-أرجو منك الصبر وصفاء النية يا حاج محروس..

وغادر الدار مسرعا..

*****

مضت شهور على تولى العمدة الجديد منصبه..

وذات يوم مشمس، غادر الحاج (عامر) منزله واتجه لسيارته فسمع صوت (محمود)يقول:

_صباح الخير يا عمدة. هل أرسل ل (عويس) السائق كي يحضر ؟..

تمتم العمدة في هدوء:

-لا ..سأذهب بمفردي، إنه مشوارا سريعا وسأعود على الفور.

وفعلا ،أسرع بسيارته مغادرا القرية بأكملها متجها للقاهرة..

وصل هناك إلى أحد المنازل الراقية فى حي شهير..

وفى لحظات كان داخل المنزل..

وصل إلى حجرة المكتب ، واتجه إلى ذلك الشخص الذى قام مرحبا به فى حفاوة ..

جلس الاثنان وقال الحاج (عامر):

- آسف يا حاج، أقسم لك أنني كنت منشغلا للغاية الأيام الماضية..

ضحك الرجل وهو يقول:
-ما هي أخبار البلد حاليا ؟
الحاج (عامر):
-في أفضل حال ، الناس تبحث عن مورد الرزق فقط، وهو ما يشغلها ، هذا هو الأهم دوما وهم سعداء الآن..
هز الرجل رأسه وقال:
-ألم يكونوا سعداء قبل ذلك ؟!..
وقبل أن يبرر الحاج (عامر)كلمته قاطعه الرجل وقال:
-لماذا أغلقت مقهى الحاج (اسماعيل)؟
هز الحاج عامر رأسه وهو يقول في لامبالاة :
-أخطاؤه زادت ، وبالتأكيد أنت على علم بما يفعله في المكان!
فكر الرجل قليلا ثم قال:
-تمام. اجعله يؤجرها ل (على) ابن عمه، سمعته طيبة..
ضحك الاثنان واختلطت ضحكاتهما..
ولم يكن هذا الرجل سوى الحاج (صالح)..
عمدة القرية القديم..

(تمت)

*****

السر في البئر

سالت دموع (ناجى) وهو يقبل يد والدته ،ويقول فى صوت متهدج :
_ أنا أعلم أنك من الممكن أن تكوني عاتبة علىّ، لكن فعلا أنا لا أدرى ماذا أفعل يا أمى، لقد طلبت منك أكثر من مرة أن تأتي معي ولكنكِ رفضتي.
ابتسمت الأم وهى تمسح دموع ابنها برفق وتقول :
_ أنا راضية هنا ..صدقنى، ما الذى يجعلني أذهب معك وأنت تعمل فى مشروعك ..أنت مهندس عظيم وأنا فخورة بك، وتنتقل من مكان لمكان من أجل عملك، والموقع الذي أنت فيه الآن بعيدا للغاية.
نظر لها (ناجى) وهو يدرك أنها تحاول التخفيف عنه ، ثم قال :
_لكن دار مسنين يا أمى ..أنا منذأكثر من شهرين وأنا أحاول إقناعك بالعودة إلى منزلك، وأحضرلك من يرعاكي ويقيم معكِ ليلبى احتياجاتك كلها..
تمتمت الأم فى خفوت:
_ أنا هنا راضية كما قلت لك من قبل، وأنت كلما تغادر موقعك احضر لتزورنى ..
تأملها (ناجي) قليلا؛ فهو يعلم مدى صرامة والدته، واصرارها، ويدرك أنه مهما فعل ومهما تحدث لن يغير من رأيها شيئا .
هو الابن الوحيد لها، وبعد وفاة والده، حملت همه، ووضعت الأعوام فوق رأسها عاما تلو الأخر ولم تنحنى ولم تشكو حتى أصبح مهندسا كبيرا في مهنته، يتنقل من موقع لآخر،
حتى أتى له عملا هاما فى مشروع من مشروعات الدولة وفي موقع بعيد عن العمران، وكان أشبه بتكليف رسمى من الدولة نفسها .
هنا أصبح فى حيرة من أمره، كيف يتركها؟ كيف تقيم معه فى تلك المنطقة المقفرة؟ من سيرعاها؟

وكأنما قرأت والدته كل أفكاره، وبهدوء شديد وثبات عظيم، لملمت متعلقاتها واتجهت إلى دار للمسنين، ثم اتصلت به لتخبره بالأمر .
ثار وهاج وماج ولكن كل ذلك لم يثنيها عن قرارها.
وأدرك أنها لن ترضخ له..
كان الحوار قد انتهى على ذلك، وقبلها مرة أخرى، ثم غادر حجرتها فى هدوء، واتجه نحو صديقه الذى ينتظره خارج الغرفة ..
ناجى :ـ لم تقتنع لرجوعها المنزل مرة أخرى يا خالد.
خالد : ـاتركها لراحتها، من الممكن أن تغير رأيها بعد ذلك، أنت قمت بكل ما يمكن أن تفعله لترضي نفسك وترضيها، من الصعب فعلا أن تأخذها معك المشروع الذي تعمل فيه حاليا، إنه في منطقة الواحات، وهى أيضا غير راضية بالذهاب معك، اطمئن عليها، هذه الدار ترعى المسنين رعاية فائقة، وتوليهم عناية خاصة .
صمت (ناجي) قليلا، ليستوعب كلام صديقه، ثم تنفس الصعداء، وأمسك بذراع صديقه وهو يتجه إلى رجل عجوز يجلس وحيدا، شاردا، يرتدى جلبابا أبيض، ولم يكد (ناجي) يقترب منه حتى همس :
ـ السلام عليكم .
نظر الرجل العجوز الى (ناجى) وهو يقول :
ـ من أنت؟
جلس ناجى بجانب الرجل العجوز ،وهو يقول :
ـأنا (عادل) إبنك يا حاج على ..
احتل الذهول مشاعر (خالد) وهم بالكلام ، لولا أن أشار له (ناجى) بأن يصمت..
أكمل (ناجى) كلامه :
ـهل نسيت ابنك يا حاج على؟ أنا ابنك ..أنا أدرك حزنك لأنني أحضر لك مرة واحدة كل شهر، أرجوك لا تغضب مني.
تهللت أسارير الحاج (على) ، وقال فى فرحة :

ـــ ابنى ..آسف يا عادل ..أنت تعلم حالتى ..أنا للأسف لم أعد أتذكر أحدا..لم أعد حتى أتذكر أن لدي أبناء.

هز (ناجي) رأسه متفهما ،وقال:

ـــ لا عليك يا والدي العزيز، أتفهم الموقف كله، وأرجو منك أن تغفر لي حضوري المتأخر دوما.

ابتسم الحاج (علي) ،وقال:

ـــلا يهم ، المهم هو حضورك الآن، مهما كان متأخرا.

مرت دقائق ، ثم قام (ناجى) وقبل الحاج على فوق رأسه ، ولم يكد يبتعد حتى أسرع صديقه (خالد) يقول فى حيرة :

ـــمن هذا ؟

قال (ناجى):

ـــ عندما حضرت إلى هنا لأول مرة مع والدتي، رأيت هذا الرجل حزينا ، شاردا، وعندما بحثت عن ظروفه وأحواله، علمت أنه يعاني من الزهايمر ، وأبناؤه لا يقومون بزيارته أبدا، حزنت بسببه، ووذهبت إليه ، لا أدري لماذا أخبرته بأنني ابنه عندما سألنى من أكون ، وعندما أحضر لزيارة والدتي أقوم بزيارته هو الآخر منتحلا شخصية ابنه.

ثم صمت قليلا ،وأردف فى صرامة:

ـــهذا الموضوع سرا يا (خالد)

قاطعه خالد :

ـــ السر فى بئر يا (ناجي)

غادر ناجى وخالد دار المسنين ..

وفى نفس اللحظة اتجه رجل إلى الحاج على وجلس بجانبه وقال :

ـــ من هذا الشاب يا حاج على ؟

ابتسم الحاج على وقال :

_ هذا ابنى يا حاج صالح
عقد الحاج صالح حاجبيه قائلا :
_من ؟ كيف !
اعتدل الحاج على فى جلسته وقال :
_هذا الشاب هو ابن السيدة التى أتت هنا قبل شهرين تقريبا ، التى تقيم فى الحجرة رقم 8 ..تقريبا عندما رآني أصابه الحزن والأسى بسببي، وعندما استفسر عنى أخبروه بأنني أعانى من مرض الزهايمر ، ولا يدرك كغيره بإدعائي للمرض حتى لا ألمح نظرة شفقة من المحيطين حولي بسبب تجاهل أولادى لي.
ثم تحولت لهجته الى الجدية وهو يقول :
_ حاج صالح ..أنت الوحيد الذى يعلم الحقيقة ..ولا أخفيك سرا بأني سعيد بسؤال هذا الشاب عني كل فترة .
صمت قليلا ، ثم أردف في صرامة :
_ هذا سر..
قاطعه الحاج صالح فى حزم :
_ لا تقلق..السر فى بئر !!!!

(تمت)

*****

ساعة واحدة لا تكفي

كانت دقات مروان على باب البيت تحمل لهفته،وكانت نبضات قلبه أعنف من طرقاته على الباب؛ كان يحترق شوقا ليراها ؛ ويتنفس أنفاسها العطرة التى حرم منها زمنا ليس بالقليل , وفتح الباب ليطالعه وجهها المبتسم , المشرق , الذى زاد نورا عندما رأته أمامها من جديد..

(أمى)..

قالها بكل لهفة ,وحب, وشوق..

قالها بمشاعر غابت عنه سنوات طوال ؛ وهو فى غربته وحيدا , يعمل ويعمل فى إحدى الدول العربية حتى يستطيع أن يبنى بعضا من مستقبله ..

(مرواااان)..

هتفت وهى تزيح عن قلبها كل ألم الحرمان من رؤيته ..

واحتضنته فى قوة ودموعها تسيل منطلقة , وبلا رغبة فى منعها من التوقف ..

لحظات وكانا جالسين فى صالون البيت ,الذى كان يتأمله فى حنين وهو يهتف :

- اشتقت لك ياأمى ، واشتقت لكل شىء فى البيت ..اعذرينى لأننى شهر كامل لم أستطع أن أتصل بكِ ، لكنني هبطت إلى مصر عندما سنحت لي الفرصة حتى أكون معكِ، شقيقتي نفسها لم تعلم بعد بوصولي ..

كانت تتأمله فى هدوء ، وعلى وجهها المضىء ابتسامة حنونة ، وتمتمت فى خفوت :

- أعلم كنت أشعر بقدومك، ولهذا انتظرتك.

عقد مروان حاجبيه وهو يقول:

- انتظرتيني!

كانت ابتسامتها الحنونة تشع نورا وهى تقول:

-بلى، انتظرت هنا كي أراك ..مرت أعوام وأنا أشتاق لك ، كل ما بينى وبينك مكالمة فقط، حتى عندما أراك عبر مكالمة الفيديو ، لا تنطفىء النار التي بداخلي، إحساسي

إنك في غربة ولا أستطيع أن أضمك فى حضنى أو أشتم رائحتك وتلمس أناملي جبهتك

كل هذا يمثل لي ثقل على صدرى، كنت أتنفس بصعوبة يا مروان ، الهواء لا يريد الانسياب إلى رئتي وأنت بعيد عنى..

صمت مروان طويلا ، وهو يتأملها ويحاول أن يعطى لعينيه تعويضا كاملا عن سنوات الحرمان التى مرت دون أن يراها..

ثم قام فى مرح مفتعل، وهو يحاول أن ينفض عن مشاعره الحزن الذى احتله ، وقال:

- سأتصل بهناء حتى أخبرها بوصولي.

ثم قام من مقعده، وهو يتجه إلى نافذة صغيرة، وهو ينظر إلى شجرة كبيرة طالما رافقت سنوات عمره ، واستظل بظلها كثيرا..

وبالفعل اتصل بأخته وانتظر ليسمع صوتها الذى أجابه فى لهفة :

- مروان . شقيقي العزيز، الرقم يخبرني إنك فى مصر ..لماذا لم تخبرني من قبل ؟..

مروان :

- كنت أريدها أن تكون مفاجأة ، أيضا المنطقة التي كنت أقطن بها ليس بها شبكة اتصال جيدة.

هناء:

- فعلا لقد حاولنا الاتصال بك كثيرا ، أين أنت ؟

مروان :

- أنا عند أمي.

سمع مروان صوت هناء يقول فى حزن :

- أنت هناك الآن ! أنا آسفة يا مروان لقد حاولنا إخبارك ولكن لم نستطع ! البقاء لله وحده ، كانت تتمنى رؤيتك قبل الرحيل.

قال مروان فى حيرة :

- ماذا حدث؟

هناء :
- أقصد أن أمي ربنا يرحمها توفت وكانت تريد أن تسمع صوتك، أو تضمك قبل وفاتها و.....
لم يسمع مروان باقى الكلام والتفت حيث كانت والدته جالسة فلم يراها ..
هرول فى كل البيت يبحث عنها بلا جدوى ..
صرخ يناديها ..
لم يجد منها سوى العباءة التى كانت ترتديها معه، ولكنها كانت خالية من جسدها ..
كانت موضوعة على فراشها ، فأسرع يأخذها وينهال عليها من قبلاته المبللة بدموعه، ورائحتها تتسلل الى أنفه لتزيد ما بداخله من احتراق..
كان لا يزال يشعر بحضنها وبأصابعها التى ضمت ضلوعه فى حنين ..
كانت عيناه تحتفظ ببريق وجهها ..المضىء..

تمت

*****

ناقص حضرتك

تردد نادر كثيرا قبل أن يخطو داخل الصيدلية الشهيرة التى أغرقت إعلاناتها الأسواق،وشاشات التلفاز، ولكنه حسم أمره ،واقترب من الصيدلي الذى كان ينظر إليه منتظرا طلبه فى تحفز واضح..

وفى ابتسامة خرجت من نادر بعض الكلمات المتسائلة:

_لو سمحت كنت أريد هذا النوع من الأقراص.

هز الصيدلي رأسه ،قائلا فى لهجة روتينية:

_ناقص حضرتك .

اتسعت عينا نادر وهو يقول فى غضب :

_من الناقص ؟! كيف تتحدث معي بتلك الطريقة ؟

أسرع الصيدلي يقول فى توتر:

-حضرتك أنا أقصد أن هذا النوع ناقص وليس موجودا في أي مكان.

لم يشعر نادر بالراحة فى طريقة كلامه ، ولكنه أكمل كلامه:_

_تمام . كنت أريد كمامة طبية .

ناوله الصيدلي كمامة وهو يقول فى تحفز واضح:

_عشرون جنيها.

تراجع نادر فى استنكار وهتف:

_ماذا!!أنا أريد من التي تباع بجنيهين، أو التي لا يتجاوز ثمنها خمس جنيهات.

ابتسم الصيدلي ،وقال:

_ناقص حضرتك ..

صمت نادر وتأكد فى قرارة نفسه أن الصيدلي يحاول استفزازه لسبب ما ، أو لأنه يبدو له كشخص ليس من نفس فصيلة من يرتادون على تلك الصيدلية الشهيرة..

قال نادر في تحفز:

_ المفروض أن تقول ناقصة حضرتك، لأنها كمامة، مؤنث . هل هناك كحول بعشر جنيهات ..

ضحك الصيدلي ،فقاطعه نادر فى سرعة :

_ لماذا تضحك ؟ ناقص حضرتك .

نظر إليه الصيدلي شزرا ،وقال:

-يوجد من النوع الفاخر، هل يتوافق مع حضرتك؟

صمت نادر قليلا ،ثم هتف:

_سأرحل من هنا ، ولن أبتاع شيئا منك أو من أي صيدلية أخرى، لكن لو أُصبت بمرض كورونا وشعرت بأعراضها، هل تعلم ما هو أول شيء سأفعله؟

سأله الصيدلي فى لهفة:

_ماذا ستفعل؟!

هتف نادر فى لهجة حاسمة:

_سأحضر إليك وأحتضن حضرتك بكل ترحاب.

تمت

*****

حظر

جز(خالد) على أسنانه وبدأ جسده فى الاهتزاز وهو يكتم أعصابه بصعوبة بالغة، حتى كاد جسده يتحول إلى اللون الأحمر وجحظت عيناه بشكل مخيف جعلت زوجته تحاول أن تخفف عنه كمحاولة يائسة أخيرة منها وهى تغمغم فى توتر:

_اهدأ يا خالد .. أنت اتصلت بهم، وبالتأكيد سوف يتحركون، وسيقومون بعملهم على أتم وجه، أنت تعلم أنها مسألة وقت لا أكثر، وأن تلك الأمور الآن أمن قومي.

هز خالد رأسه وهو يقول :

- أنا تحدثت معهم كثيرا ومضى يومان ولم يحدث شيئا لم يتحرك أحد حتى للتيقن من البلاغ.

ترددت زوجته قليلا ،ثم حسمت أمرها وهى تقول فى خفوت:

_يا خالد ..أنت السبب ، عندما يسألون عن اسم المبلغ تتردد ولا تبلغهم وتغلق الخط، هم يريدون اسمك حتى يتأكدوا من جدية الأمر

صمت خالد قليلا ،ثم قال:

_أنت تعلمين ماذا سيحدث لو علم مالك المقهى لو علم أننى قد قمت بالإبلاغ عنه قد يؤذيني. أنت تعلمين أنه يخبط بقرارات الدولة عرض الحائط ويقوم باستقبال الزبائن سرا، بل يقدم لهم النرجيلة أيضا، ونحن فى حالة وباء !!

هزت زوجته رأسها نفيا وهى تقول:

_بالتأكيد لن يفصحوا عن اسمك ..ليس من المعقول أن..

قاطعها وهو يصرخ:

_وما الضمان؟ من سيحميني إذا علم مالك المقهى فحوى الموضوع؟

ثم برقت عيناه ،وهو يقول :

ـــ لحظة! معي رقم أمين الشرطة (على الشرباصي) هل تتذكريه؟ جارنا المقيم بالمبنى المجاور لنا، لقد استطاع أن ينهي لجارنا(مصطفى) مشكلة أرضه، سأتصل به وأبلغه وأوضح له أن الأمر سرا ولا يفصح عن اسمي.

ثم أخذ يبحث عن رقمه، وهو يتابع:

ـــلكن قبل ذلك لابد لي من أن أتيقن بأن المقهى الآن يستقبل رواده، ويدخنون النرجيلة،وكأن مزاجهم أهم من حرصهم على صحتهم فى وجود وباء مثل الكورونا..

وبالفعل كان خالد بجانب المقهى ، التى كانت تعمل فى صمت وأبوابها مغلقة ، ورائحة دخان النرجيلة تتسرب من أسفل الباب، وتملأ المكان بحرية وانطلاق..

ضغط خالد رقم أمين الشرطة، وانتظر قليلا ليستقبل صوته وهو يقول :

ـــالسلام عليكم. من معي ؟..

تردد خالد ،ثم لم يلبث أن قال:

ـــ أنا خالد ..جار الأستاذ فهمى.حضرتك ساعدته في أزمة الأرض خاصته، هل تتذكرني ؟

على :ـــتذكرت .ماذا تريد حضرتك؟!

خالد: كنت أريد خدمة من سيادتك، أسفل منزلي مقهى يستقبل الرواد رغم الحظر بل يقدم لهم النرجيلة وأنت تعلم أن سيادة رئيس الوزراء قد أعلن ..

سمع خالد صوت أمين الشرطة ،وهو يقول فى لهفة:

ـــ حضرتك قمت بالإبلاغ عن ذلك ؟

خالد: لا بالطبع، كيف أقدم البلاغ لأحد غيرك وحضرتك موجود، ثم ،ثم..

صمت قليلا ثم أردف: لا أريد أن يعلم أحد إنني مقدم البلاغ.

أحس خالد بنبرة ارتياح فى صوت أمين الشرطة، وسمعه يقول فى حزم:

- اطمئن أستاذ خالد ، أنا سأقوم بكل الإجراءات، ما هذا الاستهتار ؟!

عقد خالد حاجبيه ،وهو يقترب من باب المقهى فى هدوء ، ويقول :

ـــ لو سمحت يا كابتن على، الصوت ليس واضحا ،ماذا تقول؟.

سمع خالد أمين الشرطة ، وهو يهتف فى صوت عال:
_مشكلة حضرتك انتهت تماما ، سأقوم بكل شيء.
ارتجف خالد ،واتسعت عيناه فى ارتياع..
لم يكن صوت أمين الشرطة يأتي من هاتفه هذه المرة..
كان يخرج من داخل المقهى .. ومع أنفاس النرجيلة..!!

تمت

*****

الشيطانة

مضت فقط ساعتان وقد أحس أنه عاش دهرا كاملا فى ذلك المكان ..
لقد تم انتدابه للعمل فى تلك القرية التى تقع فى صعيد مصر بين قنا وأسوان والتي تسمى بقرية (الشروانة)..
كان طبيبا يعالج أمراض الباطنة وقد مر على تخرجه سنوات قليلة ..
تذكر أمر انتدابه فى تلك المنطقة المقفرة، ولم يستطع الفرار من التنفيذ، رغم أن تلك المنطقة تحوم حولها الأقاويل والمخاطر..
وها هو الآن يجلس فى حجرة خاصة له تم تخصيصها وتجهيزها بعناية فائقة من قبل أهل القرية احتفالا بوجود طبيب قادم من القاهرة أخيرا لهم..
كان قد أعد كوب من الشاي لنفسه وجلس فى الشرفة الكبيرة للغرفة ..
وفجأة لمح من بعيد امرأة واقفة تحت إحدى الأشجار المنتشرة حول المكان ..
كانت تنظر له مباشرة ..
لم يدر لماذا شعر بتلك الرعشة فى جسده ..؟
هل لأنها نظرة ثابتة لا تتحرك ..؟
هل لوجود تلك اللمعة الشديدة فى عينيها ؟..
قد يكون ما سمعه عن تلك المنطقة هو سبب إحساسه بالرهبة ..هل هي النداهة كما سمع من قبل!؟ لا إنها لا تنادى وليس لها صوت يذكر..
إن الوقت أصبح متأخرا وليس من المعقول أن تكون تلك المرأة خارج بيتها فى هذا التوقيت
كانت لا تزال واقفة ..
استجمع ما تبقى من شجاعته وغادر الشرفة متجها إلى الخارج ..
كان يتوقع ألا يراها، وأن تكون غادرت المكان ..

ولكنه رآها..
كانت لا تزال موجودة تنظر له فى تحد ..
لسبب ما اقترب أكثر ..
وأثناء سيره اصطدم بشيء ملقى على الأرض، وفى ذهول نظر تحت قدمه ليرى ما قضى على آخر ما تبقى من شجاعته..
كانت جثة ممزقة مقطوعة الرأس ..
هذا ما تبينه قبل أن ينظر مرة أخرى للمكان الذى تقف فيه هذه المرأة الغريبة، ولكنها اختفت تماما..
كان هذا آخر ما رآه قبل أن يسقط فاقد الوعى ..
ويسود الصمت تماما.

*****

بدأ الضباب يتلاشى تدريجيا من عقله، وبدأ يرى أشكال وهمية اتضح له أنها لأشخاص واقفين حوله ينتظرون عودته للوعي..
فى خفوت تكلم :أين أنا ؟!من أنتم ؟
سمع صوت أحدهم يقول : - يا دكتور، أنا عبد الواحد الخفير، وهذا عيسوي صاحب المقهى الموجود في أول الشارع، وذلك هو ممنا البدال .ماذا حدث يا دكتور أحمد ؟
بدأ الوعى يعود إليه تماما وأدرك أنه فى غرفته وفوق فراشه الخاص فقام مذعورا وهو يقول:
-الجثة ..المرأة ..أين ذهبوا ؟
رأى الطبيب نظرة ذعر فى عيون الجميع، ثم تكلم عبد الواحد بصوت ضعيف:
-أي جثة وأي امرأة ؟ لقد سمعناك تصرخ من بعيد، وعندما وصلنا إليك رأيناك في تلك الحالة .
قال أحمد فى إصرار:
-امرأة غامضة كانت تقف عند الأشجار وجوارها جثة ممزقة ..أنا واثق مما أقوله .

صمت الجميع للحظة ثم تكلم مهنا البقال :
-سنتركك الآن يا دكتور، حاول أن تنام لترتاح قليلا ، بالتأكيد أنت مرهق من السفر، غدا بإذن الرب ستبدأ العمل و الممرضة ستأتي من فجر اليوم، وعندما تستيقظ ستنسى الأمر برمته..
وبالفعل خرج الجميع وهم ينظرون له نظرة بدت له مشفقة وكأنه مريض الهلوسة أو أنه مقبل على أمر مجهول
وعاد وحيدا مرة أخرى ..
جلس فى فراشه يسترجع ما حدث مرة أخرى ..
تلك النظرة المخيفة التى رمقتها له المرأة ..
الجثة الممزقة ..
هناك أكيد جريمة قتل..
صرخة!!
أي صرخة !!
إنه يتذكر جيدا أنه لم يصرخ أبدا. .
أي صرخة تلك التى سمعها الجميع .؟.
من أين صدرت ..؟
إنهم كاذبون بالتأكيد ..
و..
لم يكمل أفكاره..
فهناك ..
فى غرفته..
وداخل شرفته..
كانت هناك ..
امرأة تتشح بالسواد ترتدى كردانا كبيرا فى صدرها..

كانت تنظر له نفس النظرة المخيفة. .
هنا أطلق فعلا صرخة قوية ..
صرخة اختلطت بضحكة شيطانية. .
---------؛---؛---------
كان أحمد يجلس مرتجفا داخل المسجد وبجواره الشيخ (على) مؤذن وخطيب الجامع..
كان الصمت هو سيد الموقف..
ثم قال الشيخ على له :
-وماذا فعلت بعد الصرخة ؟
ارتجف (أحمد)وهو يقول:
-فجأة اختفت المرأة تماما ..كأنها لم تكن موجودة وظلت ضحكتها تتردد فى المكان
ثم اقترب أحمد من الشيخ قائلا:
-هل تصدقني ؟
صمت الشيخ قليلا ثم قال :
-أصدقك يا بنى ..أنت فى خطر وعليك أن ترحل من هنا وتعود من حيث أتيت .
اتسعت عينا أحمد وهو يتمتم:
-أنت تخفى شيئا يا شيخ على ..
عاد الشيخ على للصمت مرة أخرى ثم تنهد تنهيدة قوية وقال وكأنه يسترجع ذكرى:
-هذه المرأة هى (أم الشلاشل)
عقد أحمد حاجبيه وهو يقول :
-من ؟
تراجع الشيخ قائلا:
-ألا تعرفها..!
أحمد :- وهل هي معروفة لهذه الدرجة ..؟

الشيخ:-إنها مسخا شيطانيا ظهرت فى قريتنا منذ زمن بعيد وهو عبارة عن امرأة تتشح بالسواد ترتدى كردانات وخلاخيل تظهر للغرباء تعساء الحظ أمثالك ويظهر معها من قتلتهم فى ذلك الزمن ..

صمت أحمد وكان جسمه يبدأ فى الارتعاش ثم سأل:

-ولماذا هذه القرية ؟

الشيخ:- القصة بدأت هنا ..كان هناك فلاح وجد فستانا ملقيا فى الحقل وكان ملوثا بالدماء فغسله وقدمه لزوجته، وبالفعل أخذت الزوجة هذا الثوب ووضعته فى غرفتها ..ومن يومها بدأت الزوجة ترى قطة فى المنزل دون سبب واضح تظهر فجأة وتختفى فجأة ،أخذ الفلاح هذا الثوب وألقاه فى بئر قديم فى القرية ومن وقتها بدأت أم الشلاشل تظهر للقرية ولم تغادرها وترتكب الجرائم فيها ..حتى سكنت فترة طويلة ثم عادت تظهر للغرباء أمثالك فقط ..

(ملحوظة: يوجد فعلا أقاويل قديمة بقرية الشروانة عن وجود أم الشلاشل بالفعل)

ارتجف أحمد وهو يقول :

-وماذا أفعل ؟

الشيخ:- ارحل من هنا ، ولا تعود حتى لو فقدت وظيفتك، من الممكن أن تصبح ضحية المرة القادمة

كان هذا اللقاء صباح اليوم التالى لوصوله للقرية ولكنه لم ينتظر يوما آخر، كان قد قرر العودة بالفعل للقاهرة ..

استقل سيارة متجهة الى هناك وقرر أن يرفض الندب حتى لو اضطر للاستقالة، لقد عاش ما مضى من عمره يلتمس السكينة والهدوء، هاربا من المتاعب والهموم والمصادمات، لم يكن ذا رأي أو نظرية أو يقحم نفسه في خلافات..

لهذا قرر الهروب من المكان، وبأقصى سرعة.

وصل إلى منزله، كان وحيدا، توفى والده وهو فى المرحلة الإعدادية ثم لحقت به والدته بعد ذلك،ولم يتزوج بعد خوفا من المسئولية.
جلس فى حجرته يتأمل ونس بيته وتلك الألفة التى تحيط به من جدران منزله..
شعر بالجوع فقرر أن يطبخ شيئا سريعا فى مطبخه..
قام من مقعده واتجه الى المطبخ..
تسمر تماما فى مكانه..
جحظت عيناه فى ذهول ورعب..
فهناك وعند باب مطبخه وقفت..
كانت هناك ..
نفس الملابس ..نفس النظرة ..
كانت (أم الشلاشل) ،لقد لحقت به..

*****

فوجئ أهالي قرية الشروانة بهذا الشاب الذى دخل أمامهم وسار متجها إلى منبر المسجد الذى يجمعهم فى كل صلاة ،وكانوا يجلسون فيه لبعض الوقت للتحدث أو قراءة القرآن..
كان الطبيب (أحمد)..
اعتلى المنبر ووقف أمامهم وتحدث :
- السلام عليكم يا أهل القرية
سمع أصواتهم مختلطة ترد السلام ،ثم سمع صوت الشيخ (على)يقول له فى تساؤل :
-لماذا عدت يا بني؟
ابتسم أحمد ابتسامة واهنة وهو يقول:
-لقد لحقت بي حتى وأنا فى منزلي
تعالت الأصوات فى المسجد ذاهلة ومستنكرة. .
أكمل أحمد كلامه :

- لم تؤذيني ،كانت تريد فقط الظهور، كانت تتغذى على خوفي ورعبي ، هذا هو غذاؤها، احساسي بالفزع ،كانت تدرك أن ضعفي هو خوفي ، هروبي ، تجنبي الحياة بما فيها ، احساسي الدائم بالخطر، ولهذا جسدته أمامى ، هل من الممكن أن تقتل مصدر غذائها ؟! بالطبع لا .

صمت لحظة والجميع يحدق فى وجهه ليرى مدى شحوبه، ثم استطرد أحمد حديثه:

-كانت تظهر لي فجأة ثم تختفى، ظل الحال هكذا أسبوعا كاملا، تظهر فى ردهة المنزل، فى غرفة النوم، فى الشرفة ،كانت تتألق كلما فزعت ولكنى أدركت الحقيقة ..

صمت قليلا ليلتقط أنفاسه المتلاحقة ثم أردف في قوة

- خوفي هو من يجعلها تظهر وتتغذى وتتألق ، حتى اعتدت على الوضع وبدأ شعوري بالفزع يتلاشى، بل كنت أتوقع ظهورها وأنتظره.

عاد أحمد للصمت مرة أخرى ثم قال:

-بدأ ظهورها يقل وبدأت تتلاشى تدريجيا وأصبحت نظراتها خافتة..

ثم ارتفع صوته وهو يقول:

-خوفنا هو من يجعل مثل هذه الأشياء تنمو، احساسنا بالفزع دوما هو من يقتلنا ..نحن من نصنع تلك الأشياء ونجعل لها كيان وطاقة، لقد عدت لكم لأواصل عملي الذى لم أبدأه.

ثم نزل من المنبر قاصدا الشارع ،متجها إلى عيادته الصغيرة..

كان الصمت يلف المكان، ولكن عقولهم تتصارع في قوة.

كان واقفا فى شرفة عيادته فى وقت متأخر من الليل حتى رآها..

كان واقفة تحت نفس الشجرة التى ظهرت عندها لأول مرة فى حياته..

لم يفزع..

غادر عيادته واتجه إليها فى ثبات ..

وقف أمامها ينظر لها نظرة ثابته وهى تبادله تلك النظرة ..

ثم خفضت عينيها لأول مرة منذ رآها..
لم تجد ما تتغذى عليه ..
لم يعد يشعر بالخوف ..
بدأت تتلاشى أمامه حتى اختفت تماما..
هنا أدرك أنها المرة الأخيرة ..
ابتسم ثم عاد الى عيادته وهو يشعر بالثقة ..
الكثير من الثقة ..

(تمت)

*****

جبر الخواطر

كانت الرائحة شهية للغاية هذه المرة، وكان الدخان يلف المكان حتى بدت الرؤية ضبابية مشوشة..

لم يعد ينتمى لعالمنا وهو يتأمل قطعة اللحم المشوي على الفحم، وذلك الرجل يعتنى بها عناية فائقة مع باقى قطع اللحم الأخرى التى بدأت تتحول إلى لون النضج الشهي، وفاحت الرائحة منها مختلطة بتوابل وخلطات تثير الشهية وتذهب بالألباب..

كان اعتاد يوميا أن يأتي هنا، يدفع النقود ويطلب الوجبة الممتعة ثم يقف فى انتظار تحضيرها..

ولكن للأسف لم تكن له هو..

كان طفل لم يتجاوز التاسعة من عمره تبدو ثيابه رثة بعض الشيء، يأتى كل يوم ومعه ثمن الوجبة التى يتناولها صاحب العمل فى نهم شديد يوميا ..

كان يرسله للمطعم ويناوله النقود وهو يحفظه اسم الوجبة التى لم يذق منها شريحة فى يوم ما..

ولمحه..

كان مالك المطعم يجلس هذه المرة على مكتبه، على غير العادة ! فلقد اعتاد على قيلولة يومية، ولكن لم يمارس عادته هذه المرة لانتظار صديق له..

لمحه ،وقد سال لعاب الطفل واتسعت عيناه، وبدأ جسده فى الارتعاش من أثر لذة الرائحة المحرمة..

أشار إلى أحد عمال المطعم ،فهرول إليه قائلا:

- أوامرك يا حاج.

أشار الحاج إلى الطفل..

- من هذا الطفل، وماذا يريد؟

نظر الرجل إلى الطفل وهمس:
-هذا الطفل يعمل لدى المعلم رجب، بائع الخردة ومكانه في بداية الشارع يا حاج، يأتي يوميا ليأخد وجبة للمعلم .
هز الحاج رأسه متفهما ،وقال:
- أريد أن أتحدث معه .
انطلق الرجل ثم أمسك الطفل الذى فزع من الصدمة، فقد كان فى عالم ساحر آخر..
أتى الرجل بالطفل إلى الحاج الذى صافحه مبتسما وهو يقول:
- ما اسمك ؟
-محمود..
ـــ لمن الطعام يا محمود ؟
ارتعش محمود وهو يهمس:
- للمعلم رجب صاحب المحل .
ابتسم الحاج وهو يقول :
-هل تناولت من هذا الطعام يا محمود؟
خفض صوت الطفل ،وبدأ خيط من اللعاب يسيل من طرف فمه ،وتهدج صوته وهو يقول:
-لا يا حاج.
صمت الحاج قليلا وقد شعر بغصة فى حلقه ..
ثم وجه كلامه للرجل الذى يعمل فى مطعمه. .
- من اليوم وصاعدا ، عندما يأتي محمود يأتي محمود ليطلب طعاما للمعلم رجب تعد له وجبة مثلها تماما دون مقابل،ولو أراد أن يتناولها هنا لا تمنعه.
ارتعش محمود فرحا وبدأت الدموع تسيل من عينيه ،وهو يهتف:
-لكن يا حاج لماذا تتحمل هذا الأمر ؟ أنا لا أريد أن أسبب لك مشقة يومية.
ابتسم الحاج وهو يتمتم:

- مشقة! ليس هناك مشقة يا محمود، فليس أنا من سيأتي لك بطعامك.

اتسعت عينا محمود متسائلا :

- ليس أنت !

أشار الحاج إلى أعلى :

- بلى يا محمود ، الله هو من سيرسل لك طعامك، فقط ردد الحمد لله دائما وهو سينفذ لك ما تريد.

تنهد محمود فى قوة وهو يهتف فى فرح :

-الحمد لله ..

واتسعت ابتسامته فرحا..

(تمت)

*****

رسائلي إليها..

الثلاثاء الموافق الخامس عشر من فبراير عام 2011م

مرت ساعة بأكملها، وأنا أتساءل وأخاطب عقلي بل وأتشاجر معه فى عنف صامت،(لم قررت أن تبدأ في كتابة هذه الرسائل؟)، لم أتلقى جوابا واضحا يجعلنى أهدأ، أتنهد من جديد ليعود الهواء إلى صدري في سلاسة، ولكن..مهلا!

أدركت مغزى كتابتى، وسر إلحاح عقلي على السرد، إنه أنتِ، أردت أن تشاركيني حياتي القادمة كما شاركتيني أيامي السابقة، أنتِ..هو الجواب لسؤالي، ثلاثة أحرف هم مفتاح اللغز، وحل الطلاسم التي سيطرت على خلايا عقلي..

أشعرتِ بي وأنا بجانبك، لا يفصلني عنكِ سوى جدار، حقا لم يكن مجرد جدارا، إنه فجوة رهيبة بين عالمي الفاني وعالمك الأبدي، فاصل مخيف بين الحياة والموت، جدارا من الأسمنت يفصل بين عالمين مختلفين، الشيء المشترك بينهما هو أنتِ، لم ترحلي بالنسبة لي، ولن ترحلى إلا بي،إنه اليوم الأول من رحيلك، اليوم الذى أقسمت فيه الشمس ألا تشرق، وصمتت الطيور فى السماء حدادا.

لم أصدق الطبيب عندما قذفني بخبر رحيلك في وجهي، وهو يتصنع الحزن والألم، ثم يغسل يديه ويتجه إلى ولادة أخرى ويبشرهم والابتسامة تملأ وجهه، وهو لا يعلم ولا يدرك حجم مآساتي، ترك لي ابنتنا وهي تبكي بلا انقطاع وكأنها تعلم أنكِ رحلتى، وأنها لن تلقم طعامها منكِ، ولن تطمئن فى أحضانك الدافئة، ترك لي ابنتنا وهي ضائعة مثلي؛ لا أستوعب، أو أتفهم، بل أشعر فقط ببرودة قاتلة تزحف إلى أطرافي، لو علمت أنها المرة الأخيرة كنت ارتويت من عينيكِ حتى الثمالة، وتشبعت من أنفاسك حتى امتلأ صدري بعطرك، ولكني لم أعلم.

******

الأربعاء الموافق الخامس عشر من فبراير عام 2012م

حبيبتي الغالية، تحية طيبة وبعد، وسلاما لكِ،وسلاما عليكِ..كبرت ابنتنا، اليوم هو عيد ميلادها، وهو ذكرى رحيل جسدك عن الأرض، بدأت تنمو وتسير بخطوات متعثرة، إنها تملك ابتسامتك، ونظراتك البريئة المتسائلة، إنها أنتِ فى صورة مصغرة؛ وكأن الله يبعث رسالة لي ويهمس في أذني (اطمئن أنا معك).

أمي تعينني على تربيتها على قدر المستطاع، وقد انتقلت إلى منزلنا الذي جمعناه سويا، هل تتذكرين كيف جمعنا كل ركن من أركانه؟ هل تتذكرين أزمات المال وكيف تم حلها؟

حبيبتي..لقد كنتِ بجانبي سنوات طوال حتى قبل زواجنا،كنتِ لي نعم الأخت والصديقة، والأم ، كنت الحياة بأكملها وستكوني..

أنا على يقين بأنك غاضبة من ابنة عمي لأنها حاولت أكثر من مرة أن تدفعني إلى الزواج، ولكن لا تلوميها فهي لا تعلم!

لا تعلم أنكِ الحياة لي، ولن يكون هناك بديلا للحياة، أنك المياه والهواء والدم ؛ وليس هناك بديلا لهم ، إن ابنتك الآن تجلس أمامي، وتبتسم لي ابتسامتك الصافية، وتعقد حاجبيها فى عتاب واضح ..

كأن حوارا يحدث بيني وبينها مثلما كنا سويا،هل تتذكرين؟

_هل مللت مني؟!

_هذا الكلام يمزقني ويسلب مني روحي

_هل اشتقت لتكون أب؟

_أنتِ حبيبتي،وابنتي،ولا أتمنى سواكِ

كانت الحقيقة،ولا زالت..

ابنتك تعاتبني بنظراتها لإهمالي إياها،عذرا ..وسلاما مؤقتا..

*****

يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من فبراير 2013م
زوجتي الغالية، وكأن عمرا مضى على رحيلك، لقد اشتقت لصوتك، وضحكاتك، بل ولدموعك ..دموعك التى انهمرت فى خوف عندما كنا مهددين بالموت في أعقاب الإنفلات الأمني، وقتها احتضنتك في لطف حتي عادت الطمأنينة تسري في جسدك، دموعك التي سالت كي أستجيب لكِ، ونختبىء مثلما اختبأ الكثيرون وقتها، كنت تخشين عليّ من الاغتيال ؛ لخطورة مهنتي وانتقام البعض مِن مَن يمتهنها فى ذلك الوقت، ولكن صدقيني لم أظلم برىء، ولا سببت ألما لمظلوم ، ولكنى لم أستجيب لكِ ؛ ولم نغادر، حتى طالتك أنتِ يد الغدر، معذرة لا أريد أن أذكرك بتلك الذكريات الأليمة، فلنتحدث قليلا عن فرحتنا الكبرى.
كانت فرحة هائلة عندما علمنا بأنك تحملين داخلك حياة جديدة بعد مرور سنوات على زواجنا.يومها كانت أضاءت السماء كل نجومها، وأصبح القمر بدرا، شاركتنا الحياة فرحتنا وقتها، وأشرقت الشمس ولم يغمض لنا جفنا، وكانت الحياة تنمو وتنمو بداخلك ونحن ننتظر قدوم اليوم الموعود .
اليوم الذى نحتضن فيه سويا حياتنا الجديدة ، ولكن ..
لم أكن أعلم أن هناك من يتربص بي، ويحاول الإنتقام مني لمجرد مهنتي الأمنية فقط،وكنتِ أنتِ من دفع ثمن بقائي ؛طالتك رصاصة الغدر بدلا مني، أصبحت أنت ضحية مثل باقي ضحايا الإنفلات الذى حدث وقتها، أخرجنا حياة جديدة منكِ بأعجوبة، حملتها بين يدى وأنت لازلت ملطخة بالدماء، لا أصدق عيناي، ولا أستوعب رحيلك بسببي، و..
عذرا..لقد عاودت الحديث المحزن . سامحيني.

*****

السبت الموافق الخامس عشر من فبراير 2014م
حبيبتي الغالية، لا تلوميني على مقاطعتي لعائلتك، لقد رأيت حلما تفسيره أنك غاضبة مني لذلك، والدك وجه لي إهانة بالغة واتهمني صراحة بأنني السبب الوحيد لمصرعك،

وشقيقتك كانت تريد سلب ابنتنا مني، وما كنت أسمح بذلك أبدا، مقاطعتي إياهم طوال تلك الفترة كان بسبب تعنتهم ونظراتهم القاسية لي، لم أقصد تهديدهم باستغلال مهنتى فى أن يبتعدوا عني وعن ابنتي، ولكني كنت مضطرا لذلك، كلماتهم القاتلة هى التى دفعتنى للمقاطعة، وأنا الآن أحيا لطفلتنا فقط، أرعاها كل يوم كزهرة جميلة تنمو فى بستان، لا يشاركني فيها أحد سوى والدتي، أنتِ بالتأكيد تتابعيها يوما بعد يوم، تنمو أمامك وتتحول إلى صورة منكِ فتنير لي عتمة الليل ويطيب لى مذاق العيش بمفردي، ولا أقبل بدخيل بيننا، لا تعاتبينى بعد اليوم، ولا تأتي لى فى حلم إلا وأنت راضية عني فقط.أرجوكي.

يمتلكني التساؤل؛هل تأتين لطفلتنا فى حلمها؛ البارحة همست باسمك فى منامها!

*****

الأحد الموافق الخامس عشر من فبراير2015م

لماذا ؟

كانت لى الأمان، والمأوى، والملاذ.

كنت أراها تبتسم في سعادة بمفردها ،وعند سؤالها تردد(ماما!)،كنت ألمحها تتحدث ثم تشير إلى الفراغ وتقول (أتحدث معها)، كانت ترى طيفك وأنا لا أعلم، كنت أظنها تتخيل وجودك فقط ولم أكن أدرى أنها اقتربت منكِ لتلك الدرجة.

اليوم أصبحت بجانبك وغابت عني، ورحلت فى هدوء ..

غابت فجأة، نامت ولم تستيقظ!

لم يعد لنور الشمس لوجود بعد الآن في دنياي..

هل احتضنتيها الآن؟ هل سكنت روحك واطمأنت؟

فمتى أطمئن أنا ؟

تمت

*****

حلم شرعي

_ مرحبا ياد كتور (عماد)..
رفع دكتور (عماد) رأسه ناحيه الصوت ليرى ملاكا أمامه ..
فتاه شقراء لها وجه يميل الى الاحمرار، وعينان تخترق القلب وتجعله يحتضر ثم يأتي دور رموشها الطويلة لتنفذ فيه وتجعل قلبه يلقى حتفه تماما ..
وبصوت لا يستطيع التحدث قال :
- أهلا بحضرتك يا ...
صمت قليلا وكأنه يحاول تذكر الاسم ،فأدركت مراده بغريزتها الأنثوية ..
ابتسمت ابتسامة جعلت جسده يرتجف وهى تقول فى صوت ملائكي:
_أنا (نهى حسين)..وأول مرة أحضر لحضرتك، كنت أريد فقط أن أطمئن على اللثة ..أعاني من ألم شديد فيها منذ فترة.
ابتسم بدوره وقال:
_اتفضلى .
اتجهت فى رشاقة صوب مقعد الكشف وجلست فى خفة، ورائحة عطرها يملأ المكان ويبث فيه طاقة إيجابية تشع فى أنحاء الغرفة..
ثم فتحت فمها ليرى أسنانا تضيء نورا ورائحة عطرة تفوح منه ..
ابتسم مرة أخرى وهم بالكلام، حتى سمع صوتا ينادى من بعييد:
-(عماد ..عماد. استيقظ .. لقد تأخرت عن العمل)..
فتح (عماد)عينيه ووجد نفسه على فراشه وأمامه امرأة مكتظة ، رائحتها يختلط بها البصل مع بعض التوابل والنكهات ، وشعرها يتساقط على وجهها فى إهمال ..
تمتم (عماد) فى خمول :
_لقد كنت أحلم بكِ الآن.

ابتسمت زوجته وقالت :
_فعلا يا (عماد) .
خفض عماد عينيه وقال فى مرارة شديدة :
_طبعا يا حبيبتي حلمت بكِ.
صمت لحظه ثم تابع :
_لكن قبل أن تتحولي يا حبيبتي !

(تمت)

*****

اللحظات الأخيرة

استيقظت فجأة من غفوتي..
تلفت حولي فى ذعر لألمح مجموعة من الرجال ينتشرون فى كل ركن من مكتبي..
كنت أجلس على مقعدي الخاص وراء المكتب وكان أمامي رجل صارم يجلس على المقعد الأيمن وهو يقول فى توتر :
- فى أي ساعة بالضبط كنت فى المكتب ؟
هممت بالإجابة على السؤال لولا أن سبقني رجل يبدو عليه التوتر يجلس على المقعد الأيسر :
-كنت هنا فى منتصف الليل تقريبا ..عندما تأخر عن موعده ، تركت مكاني وذهبت إلى المكتب وفوجئت بالمنظر..
نظرت جيدا له ..
إنه عم (عوض) بواب العمارة..
ماذا يفعل هنا ؟!
ومن هم هؤلاء الرجال ؟!
كيف دخلوا إلى مكتبي ولماذا ينتشرون بهذه الطريقة ؟!
نهضت من مكاني وأنا أصرخ فيهم ..
لم أشعر بالوقوف ..
لم أسمع صوتي ..
كنت تقريبا أحلق فى المكان كأننى طائر صغير ..
ماذا يحدث!!؟؟
ومن هذا الشخص الملفوف بهذا القماش الأبيض؟
وما كل تلك الدماء؟

رأيت رجلين يرتدون ملابس رجال الإسعاف وهم يحملون تلك الجثة الغارقة فى دمائها. .
وفى تلك اللحظة تراخى القماش عن الجثة ..
وظهر وجهها..
وصرخت فى فزع صرخة بلا صوت ..
كانت الجثة هي أنا..
كيف هذا ؟ولماذا و من فعلها ؟!
كلها أسئلة دارت فى عقلي ..
ولكن ما الفائدة ..؟!
لقد انتهيت ..
قتلت على يد أحدهم ..
انتهت حياتي الحافلة فجأة ، بعد انتصارات وانكسارات ، أفراح وأحزان ..
انتهت فى لحظة خاطفة ، لم أدرك فيها حتى قاتلي !
وما هذا الظلام الذى احتواني فجأة ؟
أرى مكتبي يبعد، وأشعر بأنى أطير خارج المكان ..
لم أعد أشعر إلا بالصمت ..
الصمت التام .. تمت

*****

تحت الأرض

كان أهل القرية كلهم اليوم فى دار العمدة ، الاستياء يظهر فى الوجوه، المرارة تحرق الحناجر، والدموع حبيسة الأعين ..

تكلم شاب من أهل القرية مخاطبا العمدة :

-يا عمدة ..رزق البلد يقل ..الدود الذي يعيش في الأرض يأكل الجذور والبذور، والمحصول في كل مرة لا يكفي، يأتي قليلا، مريضا، نلقي بمعظمه كي تأكل منه البهائم.

كان العمدة جالسا على دكة وضعت فوقها وسادة ناعمة تحول بين جسده الضخم وقسوة خشب دكته..

ارتشف العمدة بعض الشاي ،ثم تنهد فى ضيق وقال:

- وماذا أفعل؟ فعلت ما بوسعي كي أمنع هذا الأمر، أنا أيضا أعاني من دود الأرض .

صرخ شاب آخر :

-لابد من حل للقضاء على هذا الدود..

ثم وجه كلامه لأهل القرية :

-قبل الزرع لابد من أن نحفر جيدا حتى نصل لمصدر الدود والحشرات ونتخلص منها من جذورها ، في كل مرة نرمي البذور قبل أن نتخلص منه تماما.

ضحك العمدة وقال:

- لقد استخدمنا (الكيماوي) ولم يأتي بنتيجة مثمرة.

قاطعه الشاب فى حماس:

- الدود لن يموت دون أن نصل إليه من المصدر نفسه، ثم نقضي عليه تماما.

ثم هتف بصوت عالى :

- هل توافقون جميعا على ذلك الأمر؟

هتف معه أهل القرية فى حماس وتأييد:

- نوافق .

حفر الشباب الأرض ..

مرت الأيام ، والحفر تزداد اتساعا فى كل أنحاء القرية..

تململ الجميع ،وثاروا على شباب القرية ..

جاء إليهم الشيوخ حانقين ..

هتف أحدهم في شباب القرية:

- يكفي هذا، لقد امتلأت القرية بالحفر بسببكم ولم تجدوا أثرا للدود.

هتف الشباب في ثقة:

- بالتأكيد سوف نعثر عليه،من الممكن أن يكون في باطن الأرض لكنه موجود.

صرخ شيوخ القرية في غضب :

- ابتعدوا..

ثار الجميع، وأرسل العمدة فى طلب الشرطة، و جمع كل شباب القرية ليمنعهم من الحفر ..وظلت الحفر مفتوحة ..

وسنحت الفرصة لديدان الأرض أن تظهر وتخرج من ظلمتها..

وبدلا من أن تتغذى على جذور وبذور الزرع ، أكلت الزرع كله ..

وتسلقت الأشجار لتلتهم ثمارها..

وصرخ أهل القرية ..

تجمعوا مرة أخرى عند العمدة الذي جمع كل شباب القرية، وصرخ فيهم :

-أرأيتم ! أنتم من جعلتمونا نصل لهذا الموقف ! ..لقد كان الدود بالداخل فقط ، ها هو قد خرج علينا، ولن نستطيع السيطرة عليه بعد الآن.

نظر الجميع فى الأرض وتمتموا كلهم :

-فعلا، أين تلك الأيام الجميلة التي كان فيها الدود بداخل الأرض فقط !!

(تمت)

حالة طرد

أقف مشوش العقل، فاقد التركيز أراقب بحذر وفضول ما يحدث خارج الغرفة التى احتجزت نفسي بها بإرادتي، صامتا ، خائفا..

الحجرة مظلمة لا أتبين فيها شيئا، أقف بجانب بابها أستمع إلى الغرباء الذين أتوا من العالم الآخر..

بلى..

هل لا تصدقني ؟!

غرباء من عالم آخر..

أراهم من ثقب مفتاح الغرفة، وهم يتجمعون حول طاولة خشبية، أولهم رجل بالغ يرتدى ثيابا رثة تنم على ضيق الحال..

وثانيهم طفل صغير لا يتعدى العاشرة من عمره..

مهلا، هناك امرأة جميلة، ولكنها أيضا ترتدى ملابس تنم على نفس الحال الذى أصاب الرجل ..

وهناك ذلك الرجل الكبير الوقور الذى طالت لحيته لتمتد لمنتصف صدره يرتدى جلبابا فضفاضا. .

كلهم يجلسون حول الطاولة الخشبية..

كلهم اقتحموا منزلي..

يحاولون طردي منه بكل قوة و عنفوان..

أشتم رائحة البخور. أستمع لكلمات غير مفهومة..

ما الذي يحدث ؟!

هذا الرجل الملتحي يردد كلمات غريبة ويبدو الذعر على الجميع ..

هؤلاء الغرباء يشعرون بالخوف..

اقتحموا منزلي الذي أحيا فيه وحدى منذ زمن بعيد حتى أصبح بيتا مظلما، عتيقا فقيرا..
أرى الرجل الملتحي يتكلم معهم فينفعل الرجل الآخر،ثم يقوم من مقعده ويتجه نحو غرفتي..
لا..
لن أسمح له باحتلال الغرفة أيضا..
لن ..
لقد اقتحم غرفتي بكل بساطة ..
أراه يزيح فراشي بكل قوة ،والمرأة تصرخ لتحذره ...
الطفل يتعلق بملابس المرأة ..
الملتحي يقف ويتابع الموقف بترقب..
وأنا. .
لا يراني أحد منهم ..
يبدو أن الغرباء لا يستطيعون رؤيتي. .
أرى الرجل يحضر شيئا ضخما ليحطم أرضية الغرفة ..
وبكل قوته، حطم الأرضية ..
صرخت ولكن بلا جدوى..
توقف فجأة وتراجع مذعورا..
اقتربت المرأة منه لتشاهد ما سبب له خوفه فصرخت وأحاطت أعين الطفل بكفيها..
وشاهدت ما رآه الرجل..
واتسعت عيناي فى ذعر..
كان هيكلا عظميا دفن تحت فراشي الذى أنام فوقه..
مهلا..
هذه الملابس البالية التى يرتديها الهيكل تشبه ملابسي التى أرتديها الآن..

ماذا يحدث ؟!

أسمع الرجل الملتحي يقول فى ثقة:

- كما قلت لك ..تلك الأشياء المريبة التى تسمعها وتراها أنت وزوجتك من فعل شبح القتيل ..وبالتأكيد يوجد فى غرفته شيئا يتعلق به ، ولكن لم أتوقع أن تكون جثته نفسها..

الرجل :

- لابد من إبلاغ الشرطة حتى يتم اتخاذ اللازم

المرأة :

- أنا لن أستطيع أن أعيش هنا ، لقد مر أسبوع كامل وأنا فى حالة من الرعب وبعد هذه الجثة لن أستطيع أبداً، ولا تقنعني لأن البيت مناسب لحالتنا المادية. .

كل هذا الحوار يدور حولي وأنا فى ذهول تام..

هل أصبحت مجرد جثة عفنة..؟

هل أنا الدخيل والغريب وليس هم ؟!

ما هذا الظلام الذي التف حولي؟

ما هذا السكون الذي عم المكان ؟!

لقد أصبحت وحدي تماما ،فى مكان لا يستطيع أحد طردي منه

ولا يتجول فيه غرباء يقتحمون حياتي بلا رحمة. .

وحدي تماما..

تمت

*****

الاعتراف الأخير

كانت الزوجة منهارة ودموعها تتساقط وهى تجلس بجانب زوجها الذى يرقد فى الفراش وحوله تتمدد الأنابيب والأسلاك وهى تلتصق بجسده من كل جانب ..
كان يرقد فى غرفة العناية المركزة..
كان يسير فى الشارع عندما داهمته سيارة مسرعة أطاحت به فى نهر الطريق..
كانت تبكى فى حرارة عندما سمعت صوته يقول فى خفوت:
-أنا آسف.
نظرت الزوجة إليه وهى تقول فى تساؤل:
-ماذا تقول ؟لا تأسف ، أنا لست متعبة .
غمغم الزوج فى خفوت :
-لا أقصد ذلك ، أنا اقصد شيئا آخر، أنا لدى إعتراف مهم أود أن أقوله قبل أن أموت ..أنا تزوجت منذ عامين ولدى طفل عمره عام واحد ..
تحولت ملامح الزوجة إلى النقيض وهى تقول فى بطء:
_أنت تهذي ! بالتأكيد كل هذا الكلام مجرد هذيان.
هز رأسه فى نفى وهو يقول فى إرهاق :
_لا ..هذا حقيقى ..أرجو أن تسامحينى. .
صمتت الزوجة كثيرا ..
كان هناك بركان من الغضب يفور داخلها..
ثم قالت فى هدوء غريب :_سامحتك..

اندفع الأطباء داخل الغرفة فى سرعة وتوتر واتجهوا صوب الزوج فى قلق وهم يحاولون إسعافه بشتى الطرق، ثم قال أحدهم موجها كلامه للزوجة:

_البقاء لله، يبدو أن حالته قد ساءت بعد أن كانت مستقرة .
انهارت الزوجة وهى تصرخ فى لوعة وتمسك بجثة زوجها وتنادي باسمه..
ووسط كل هذا لمح أحد الأطباء نظرة ساخرة فى عينيها وشبه ابتسامة تشفي..
راودته الشكوك أكثر عندما رأى بجانبها لوحة المفاتيح التى تتحكم بكل الأجهزة المحيطة بزوجها والتى بضغطة واحدة قد تعطل هذه الأجهزة حتى يفارق الحياة ثم تعيد تشغيلها مرة أخرى..
ولكنه نفض عنه الشكوك وهو يراها تصرخ وتنهار و تنهمر منها الدموع ..
ثم قال فى نفسه :
_ إنها حزينه بالفعل ولا يوجد سبب واحد لتفعل ذلك ..
فعلا ..لا يوجد سبب لتفعل ذلك..
لا يوجد..

تمت

*****

الكاميرا الخفية

اقترب ذلك الشاب الوسيم من الجزار الضخم الذى كان يجلس وراء مكتب خشبي قديم ،ويرتدى جلباب أبيض وكالعادة ملطخ بالدماء..

كان جالسا يوجه كلامه لصبيه الذى كان يحمل قطعة كبيرة من اللحم ويغرس فيها خطافا حادا لعرضها أمام المارة ليسيل لعابهم بمجرد النظر لها..

ابتسم الشاب فى هدوء وهو يقول:

_لو سمحت يا حاج

نظر الجزار له وتأمله قليلا ..

كان يقيم الشاب حسب ملابسه، وأسلوبه ، وطريقة كلامه ..

ومن خلال شكل الشاب الخارجي الذى يوحى بالأناقة ،ابتسم الجزار فقد أيقن فى قرارة نفسه أنه زبون (تقيل) ،وهتف مهللا:

_اتفضل يا أستاذ ..أهلا وسهلا بحضرتك، هل تريد لحما أم قطعة من الكبد الطازج .

قاطعه الشاب فى هدوء:

_لا حضرتك ..أنا مخرج تليفزيوني .

تراجع الجزار فى مقعده وهو يقول :

_أهلا وسهلا، وماذا يريد مني التلفاز ؟

جلس الشاب على مقعد خشبي ،وهو يتأمل المحل ويقول :

-أريد التصوير هنا

قال الجزار فى اندهاش:

_ تصوير !! ما اسم البرنامج الذي تريدون تصويره في المكان؟

الشاب :

ـــ برنامج الكاميرا الخفية .
الجزار فى تعجب :
ـــ كاميرا ماذا ! أنا أعلم أن تلك البرامج تنفذ دون علم الشخص .
قهقه الشاب وقال :
ـــ هذا ما نخبره للجميع، لكن الحقيقة إننا بنتفق مع من نصورهم .
صمت الجزار قليلا ثم قال :
ـــما المطلوب منى بالضبط ؟
الشاب :
ـــلا شيء، سنصورك من خارج المكان ونحن في سيارة تابعة لنا ستكون بجانب المحل، سيأتي لك طفلا يشتكى ويبكي ويخبرك بأنه يريد طعاما ليأكل هو وأمه ، وأنت ستعطي له قطعة من اللحم الأحمر الطازج لتنال الثواب .
صمت الشاب قليلا ثم أكمل :
ـــليس مثل البرامج الأخرى، هذا برنامج ليدرك الناس أن الدنيا ما زال بها خيرا . كان من الممكن أن نفعل هذا الأمر وأنت لا تعلم، لكننا خشينا أن تطرده أمام مرأى الناس وتنال سمعة سيئة تصيب بها المكان أيضا..
صمت الجزار وفكرا قليلا ..
ولم لا..
سوف يكون إعلانا للمحل على شاشات التلفاز، وسيأتي الناس لشراء اللحم منه ..
من الجزار الخير ذو القلب الحنون..
وبالفعل ، تم التصوير ..
أتى الطفل ، وطلب المساعدة ، وفى تأثر شديد ناوله الجزار بنفسه قطعة من اللحم الطازج وهو يقبله على رأسه ..
وغادر الطفل المكان، وساد الصمت ..
وقال صبي الجزار فى تساؤل :

_هل تم تصويرنا يا معلم ؟! أنا لا أرى كاميرات ..
صاح الجزار في صبيه :
_أنت غبي ..كاميرات ! هذه كاميرا خفية أيها الغبي ..
وفى الشارع الخلفي كان الطفل يناول الشاب الوسيم قطعة اللحم وهو يقول له :
_بتلك القطعة أكملنا تقريبا عشرة أرطال من اللحم يا أسطى .
صاح الشاب فى الطفل :
_ لماذا تناديني بالأسطى ؟!هيا بنا لتناول الطعام، وغدا نكمل ، العيد اقترب ونريد أن نملأ ثلاجتنا الجديدة..
واحتضن قطعة اللحم فى حنان جارف ..
(تمت)

*****

النور

كانت خطواتي ثقيلة من أثر الهموم التى ألقت على عاتقي، وتصارعت الخواطر والأوهام فى عقلي تتطاحن وتنزف دما..

كان اليأس قد ملأ قلبي وعقلي وكل حواسي..

اتجهت أقدامي صوب محل الحلاقة ، ونمت فى عقلي فكرة أن أدخل للتخلص من شعر ذقن أهملتها لمدة طويلة ونسيت حتى أنها قد نمت وترعرعت فى إهمال. .

دخلت المحل فى هدوء وألقيت السلام على الجميع ، ولمحت شابا يجلس أمامي مباشرة ينتظر دوره فى الحلاقة..

كان وجهه مألوفا لي..

بلى، أنا أعرفه جيدا؛ كان منزله بجانب منزلي منذ فترة طويلة، كنا نقف سويا ونتكلم ونضحك ..

لا أعرف اسمه ،وهو أيضا لا يدرك إسمي ..

كنا نتحدث ونتشاور عندما نتقابل بجانب المنزل دون حتى أن ندرك الأسماء..

كان يجلس كعادته يضحك مع صديق له يجلس بجانبه ..

لكنه لم يرحب بي..

لم يظهر على وجهه أنه حتى يعرفني. .

هل يتجاهلني ؟

كان قد مر عام كامل لم أراه فيه ،فهل نسى وجهى بهذه السرعة ؟

هل أرحب به أنا وأذكره بنفسي، أم أتجاهله مثلما يتجاهلني..

فى النهاية قررت أن أجلس فى مكاني، فما بي من هموم تجعلني لا أتحمل الكلام مع أحد وأفضل الصمت..

كان مازال يضحك ويطلق النكات مع الجميع ،حتى جاء دوره فى الحلاقة..

هنا لمحت صديقه يقف ويمسك بيده ليساعده ويرشده للطريق..
وصل إلى كرسي الحلاقة بمساعدة صديقه وجلس فى هدوء..
عاد صديقه يجلس، وفى هذه المرة جلس بجانبي ..
همست فى صوت خافت:
-ما خطبه ؟!
همس هو الآخر :
- منذ عام مضى توفى والده وحزن حزنا شديدا لفقدانه، كان كل يوم يمر يفقد قليلا من ضوء عينيه، حتى أُظلمت الدنيا أمامه تماما، وفقد بصره..
هبط الكلام كالصاعقة فوق رأسي..
نظرت له وهو يضحك ويتحدث ..
لقد فقد نور عينيه، ولكنه لم يفقد نور القلب ..
أطرقت رأسي أرضا ،وأنا أشعر بضآلة ما بي من هموم..
وأشعر بضآلتي أنا أيضا..

تمت

*****

السر

لم يستطع النوم تماما..
كانت ليلته الأولى فى تلك الشقة الفاخرة والتي بحث عن مواصفاتها كثيرا حتى عثر عليها .
استطاع من خلال صديقه (سامح) أن يصل إلى مبتغاه، والغريب فى الأمر أن المال الذى طلب منه مقابل الشقة أقل بكثير من ما تحتويه من مميزات ومواصفات ..
فهي فاخرة ،واسعة وفى موقع متميز ،وقريب من عمله. .
لكنها تلك الإشاعة التى أحاطت بالعمارة كلها وجعلت منها مكانا منفرا للباحثين عن مسكن،كان قد سمع قبل أن يشترى الشقة أن العمارة كلها مسكونة ،وأن الأشباح تحيط بها..
ولكنه كان رجلا عمليا، يدرك قيمة المكان، وينتهز الفرص ..
لم يصدق ما قيل له، واغتنم الفرصة، ونال مسعاه..
ورغم ذلك، لم يستطع النوم ..
كان جزءا منه يفكر فى ما قيل له ..
هل فعلا أن شقته مسكونة ؟!
هل سيحدث شيئا ما يعكر صفو حياته ؟!
أشعل سيجارته، وأعد فنجانا من القهوة، حتى يستطيع أن يواصل ليلته بدون نوم..
كان يريد أن يحسم الجدل تماما..
انتهت سيجارته وارتشف آخر رشفة من قهوته ثم غادر شقته وهو يقرر أن يدور حول العمارة لعله يصل إلى شيء يحسم صراعه..
وصل إلى باب العمارة ،فرأى بوابها يجلس فى هدوء يرتشف كوبا من الشاي الثقيل، فاتجه إليه وبدأ كلامه:
-السلام عليكم .

نظر إليه البواب ثم قام من جلسته مرحبا:
-وعليكم السلام ، حضرتك الساكن الجديد ، أهلا بك فى العمارة، سوف أعد لك قدحا من الشاي
جلس بجانبه على الدكة الخشبية، وبالفعل تناول منه كوبا من الشاي قد فرغه له من براد قديم مازال يصدر قرقعته من فورة المياه..
ناول البواب سيجارة فاعتذر معللا بأنه يشرب المعسل فقط..
- لماذا أنت مستيقظ إلى الآن ؟ لقد اقترب بزوغ الفجر.
صمت قليلا، ثم همس :
- ما إسمك ؟
- أبو محمود
- أخبرني يا أبا محمود ،هل بالفعل العمارة مسكونة من العفاريت.
ضحك أبو محمود كثيرا وأخذ يسعل، ويبصق، ثم قال فى صوت يشوبه شيء من السخرية :
-مسكونة ! بالفعل مسكونة ، يسكنها حضرتك، والأستاذ عوض و..
قاطعه في غضب :
- أنت تعلم أنني لا أقصد هذا المعنى.
صمت أبو محمود قليلا ثم قال فى جدية:
- عد إلى بيتك مطمئنا، حضرتك تعلم أن الجن يحيطون بنا فى كل مكان، ونحن لا نراهم ، فلماذا لا تخاف منهم ، حضرتك عند دخولك حمام المنزل تستعيذ بالله من الخبث والخبائث، معنى هذا أنك تعلم أن هناك خطب ما، فلماذا لا تشعر بالخوف ؟هناك أشياء تحيط بنا من كل صوب ولكننا نتعايش معا دون قلق أو خوف ، عد إلى فراشك ونام قرير العين ، هادىء البال ..
فكر فى كلامه قليلا ثم شكره على الشاي :
- تصبح على خير يا أبا محمود .

وفعلا ..
اتجه إلى شقته، ونام بها نوما عميقا لم يستيقظ منه إلا عندما سمع جرس الباب ..
كان مالك العمارة، الذى ابتسم وهو يقول:
- من الواضح أنك كنت في نوم عميق، بالتأكيد تيقنت أن كل ما يحيط بالبيت مجرد إشاعات لا أساس لها من الصحة.
هز رأسه ،وقال :
- فعلا،أنا كنت في سبات عميق وأنا لا أصدق هذا الهراء، لحظة لأحضر لك باقى المال المتفق عليه.
تهللت أسارير مالك العمارة وأردف في سعادة وهو يراه يتجه داخل الحجرة ليعد له المال:
- أنا لم أحضر لك لهذا السبب، كنت أود أن أخبرك فقط بأن تلبي احتياجاتك بنفسك لمدة أسبوع واحد حتى نبحث عن بواب جديد للعمارة.
تسمر فى مكانه ،وهو يتساءل:
-بواب ؟!!
- بلى، بواب .. البواب القديم(أبو محمود) رحمه الله قتل منذ فترة من قبل بعض اللصوص،كانوا يريدون اقتحام محل الجواهرجى المقابل للعمارة ، لقد توفى شهيد و..وماذا بك يا أستاذ ؟! لون وجهك ليس طبيعيا ، هل أنت مريض ؟!

(تمت)

*****

نجم سوبر ستار

مازال يحدق فيّ بنفس النظرة الثابتة، وأنا أتحاشى نظراته فى توتر ملحوظ..
أمد يدى أتحسس نظارتي الشمسية السوداء التى تخفي وجهى كله تقريبا ، هل عرفني رغم أنها تخفي ملامح وجهى كلها تقريبا ..
لقد تمنيت أن أعيش يومًا كاملًا دون أن يعرفني أحد ، دون أن يقتحم فى حياتي الغرباء، والمتطفلين.
لقد انهارت قواي النفسية تمامًا من تدخلاتهم السخيفة بحياتي.
ولهذا قررت التمرد ، خرجت إلى شوارع القاهرة بمفردي دون حماية حرسي الخاص، بملابس غريبة عن ملابسي ، ونظارة كبيرة سوداء تخفى ملامحي .
سرت فى الشوارع ليلًا أشاهدها عن قرب ؛ لقد مر وقت طويل منذ أن اقتربت من الناس ذلك القدر وتلك المسافة ..
لقد كان دومًا تقلني سيارتي الفارهة فى كل مكان ، ولم أعد أسير فى تلك الشوارع القديمة .
أصبحت شوارع القاهرة القديمة قديمة فعلًا ، وأصبح من فيها وكأن قطار الزمن قد نال منه حتى وهو فى ريعان شبابه..
ما سر النظرة الجامدة الخاوية التى ألمحها على وجوههم؟
سر الخطوات الآلية التى يسيرون بها..
يبدو أن هناك ما يضايقهم ، ويعكر صفو مزاجهم.
بدأ الفجر فى الظهور، وبدأت السماء تتلون بلون فضي جميل ..
وقفت على عربة فول ، فقد مر عمر سحيق منذ أن تناولت الفول ، ولم أجرب أكله من عربة مثلها..
ولكن هل هي عربة نظيفة؟!

ساورتني بعض الشكوك ، ثم لم يلبث أن طرحتها جانبًا وطلبت بعض الفول ؛ فمرة واحدة لن تضر!

كان الرجل صاحب العربة عابس الوجه وهو يقدم لي الطبق بصورة آلية ،ثم عاد لمزاولة عمله..

هززت رأسي فى لامبالاة ، ثم شرعت فى تناول وجبة الفول ..

كان لذيذًا حقا، محظوظون هؤلاء الناس ، فهم يتناولونه يوميًا مثلما أسمع وأعرف..

لا أدري لماذا هم تعساء حقًا ؟

انتهيت من وجبتي ، وقد قررت أن أجلس فى مقهى صغير، لقد مللت كافيهات المولات المصطنعة..

جلست على قهوة صغيرة وطلبت شايًا بعد تلك الوجبة الدسمة..

كل الجالسين لم يعرفوني..

حقًا أنا ماهر فى تنكري..

حتى رأيته..

الشخص الجالس أمامي ينظر لي بثبات وكأنه يقول : لقد كشفت أمرك..

كنت أرتشف بعض الشاي وأنا أتحاشى نظراته ، ولكنه لا يزال يحدق فى بنفس النظرة الثابتة..

فى هدوء حذر ، اتجهت إليه ..

جلست بجانبه وأنا أقول فى تحفز:-

-لماذا تنظر لي تلك النظرة ، هل تعرفني؟

ابتسم لي وهو يوجه نظراته نحوي، ثم ضحك قائلا:

-لو كنت أنت سريع الملاحظة لأدركت إنني كفيف ، نظراتي خاوية عمياء ..

بدأت أرى المشهد كاملا، فعلا نظراته الخاوية ، وتلك العصا التى يمسكها فى يده اليمنى، و..

قاطعني قائلًا:

- أشعر من كلامك بلهجة متحفزة ، لماذا تخشى أن أعرفك؟
صمت قليلا ثم قلت له :
-بالفعل أنا أخفي هويتي، أنا (.....) النجم السينمائي المعروف..
لم تتحرك ملامح الرجل ثم هز رأسه وقال:
- لا ..لم أعرفك..
بدأ شعور داخلي يدفعني إلى الحدة فى الكلام معه ، ثم التمست له العذر فى جهله بي..
ولكنه واصل كلامه المستفز:
- هل تتوقع أن هؤلاء الناس يعنيهم وجودك هنا فعلًا، من الممكن فى أماكن أخرى ، ولكن هنا بالذات ..فى تلك البقعة من القاهرة لا يشغل بال أحد سوى يومه الطويل المتعب.
استفزني كلامه ، فقمت من مكاني وأنا أخلع نظارتي وأصيح بصوت عال:
- أنا (.....) ثبت المشهد لحظة ، أدركت فيها أن كل الجالسين الآن سيهجمون علي كالطوفان ، ليلتقطوا معي صور السيلفي، ويتعرفون علي من قريب ويتحسسونني ليتأكدوا أنني بشر مثلهم..ولكن. .عاد الجميع لما كان يفعله دون أدنى اهتمام ، من كان يتكلم واصل الكلام ، ومن كان يحتسي شرابه عاد ليواصل الاحتساء. ومن كان يعمل واصل عمله..
وقفت حائرا ، ما خطب هؤلاء الناس ..
كيف يعلمون بوجودي جانبهم دون أن ينهاروا من الدهشة والفرح..
فى عصبية ، غادرت المكان وأنا أسمع ضحكات الرجل الأعمى الساخرة تعم المكان ..
فعلا، مجموعة من الحمقى لا يدركون قيمتي ، وقيمة ما أقدمه من فن ..
سأعود لعالمي ، حيث كنت ..حيث حياتي الحقيقية التى يدركون فيها من أكون..
يالهم من حمقى!!
تمت

وعد

كانت ساعة مبكرة عندما سمعت (صفاء)صوت جرس الباب، فأسرعت لتفتحه لترى وجه والدها المبتسم ينظر لها فى حنين ورغم مشاعرها المختلطة بين القلق والفرحة إلا انها احتضنته وهى تقول له فى توتر:

-أبي ! هل أمي بخير ؟

جلسا معا فى صالون المنزل وهو يمسك يدها فى حنان، وقال لها فى هدوء:

- هي بخير، ولكنى احتجت فقط أن أراكِ فلم أستطع الانتظار .

كانت تعلم أن والدها لا يزورها كثيرا بسبب بعد المسافة بين بيتها ومنزله خصوصا فى ذلك السن ، حتى لو زارها كان يصطحب معه والدتها وأيضا ليس فى هذا الوقت المبكر..

قال لها فى هدوء :

-هل ذهب زوجك لعمله؟

ردت عليه وهى لا تزال قلقة:

-بلى.. أنت تعلم أن عمله يبدأ مبكرا جدا ..واصطحب معه البنات للمدرسة.

تنهد الأب تنهيدة قوية ثم قال:

-لقد شعرت إنني أريد رؤيتك الآن حتى أخبرك بأمر هام .

بدأت (صفاء)تشعر بأن الغرض من الزيارة يتضح الآن فتنبهت كل حواسها وهى تسمعه يكمل كلامه:

-والدتك مريضة، تتلقى العلاج فى أحد المراكز الطبية .

شهقت (صفاء) وقالت وهى ترتجف:

-ماذا؟ منذ متى ولماذا لم تخبرونني؟

الأب :

-الأمر تم فى سرعة ، علمنا بالمرض ولم تريد أن تفزعك ، هي أيضا لم تكن تريد أن تذهب لتلقى العلاج لولا اصراري الشديد للذهاب..

ثم صمت لحظة ونظر إليها وتغيرت لهجته الى الحزم:

-لو حدث لى شيء والدتك لن تذهب لتكمل علاجها، اوعديني أنك ستجعليها تذهب لتلقى العلاج ولن تجعليها تهمل فى علاجها..اوعديني

صفاء:

-أطال الله عمرك يا أبي و..

قاطعها الأب في لهجة اصرار:

- اوعديني

نظرت له (صفاء)وهى تقول بلهجة حاسمة :

-أوعدك يا أبي.

هنا قام الوالد من مكانه واتجه إلى الباب وهى تمسك به وتحاول أن تجعله يكمل اليوم معها وتخبره بأنه لم يجلس معها مدة كافية ولكنه أصر على الرحيل ..

احتضنها بشدة وهو ينظر لها ويقول:

-أنت ابنتي الوحيدة، القوية ،لا تنكسري مهما كانت الظروف..

ثم غادر منزلها..

وقفت تبكى حزنا على حال والدتها..

كانت لا تزال ترتجف حتى قطع احساسها صوت رنة هاتفها ، فأسرعت إليه لترد على المتصل ..كانت والدتها..

كان صوت الأم يبكى وهى تقول :

-(صفاء)..

صفاء:

- ماذا بك يا أمي ، هل أنت بخير؟ لقد كان أبى عندي الآن وغادر منذ دقيقة..

بكى صوت الأم وهى تقول :

- والدك ..كيف! لقد توفى والدك بعد أن صلى صلاة الفجر، رحل فى فراشه فى هدوء، تركنا ورحل يا (صفاء)، أصبحت وحيدة، (صفاء)..أين أنتِ ؟؟

تمت

*****

في حضرة الآخر

قضيت عمرا فوق عمرى لألملم هذا الاختراع ..

أعتبره كشف عمري الذى يجعلني أشهر من توماس اديسون واختراعه للفونوغراف والمصابيح الكهربية وألمع من الكسندر بيل وهاتفه ..بل أعظم من ستيف جوبز نفسه وشركة آبل الخاصة به ..

جهازي يسمح برؤية أبعاد أخرى تحوم حولنا ولكننا لا نراها ، كائنات لها تردد مختلف لا يسمح لنا برؤيتها كالجن والاشباح ، ولكنني ــ كما علمتم ــ رجل علم ، فلن أطلق عليها تلك المسميات ..

هي عوالم أخرى تحوم حولنا ، تتحدث ، وتنام ، وتتشاجر ، بل وتتناسل أيضا فى وجودنا.

وها أنا الآن أبدأ فى تجربة الاكتشاف ..

هاهي النظارة المركبة أرتديها لأرى العوالم الخفية ، لا بأس بمرور الوقت ، فقد تمر ساعات حتى ....، مهلا ، ما هذا ؟ أنا على حق ، على حق ..

أنا أراهم حولي فعلا ..يتكلمون ، ويأكلون ، أنهم يشبهوننا تقريبا ، ولكنهم أرقى نسلا ، وأعظم شأنا ..يا الله ..كأنني سبحت فى الفضاء لأرى مجرات ، وثقوب سوداء ، حتى أصل اليهم وأراهم .

ما هذا ؟إنهم ينظرون لي ، أدركوا وجودي ..علموا أنى غزوت خلوتهم ، وغصت فى عقولهم ، واقتحمت أسبارهم ..إنهم يقتربون منى ،وعلى وجوههم غضبا فوق غضب ..صدقوني لن أبوح بأسراركم، ولا أريد أن أنال شرف الاختراع ..

ابتعدوا عنى فقط ..لن أبوح ..لن أبوح ..

دوت صرخة رهيبة منه ، ثم ساد الصمت ..لقد علم وعرف الحقيقة ، ودفع الثمن مرتفعا..

تمت

الخادم

حاول الجميع أن يمنع (صادق)من دخول القبر..
كان فى حالة انهيار شديدة وهو يتشبث بالجثمان ويحاول منعه من نزول القبر، أو النزول معه ، والدفن بجواره..
كانت ابنته الوحيدة ..
كانت طفلة صغيرة لم تتجاوز عشر سنوات..
رحلت فى هدوء، كما رحلت والدتها من قبل ؛ فى حادثة سير..
وهو الآن فى ذهول تام ..
كانت المشاهد تسير أمامه دون وعى ..
ها هو الآن يمد يده يصافح الناس دون أن يعلم حتى من أمامه..
يسير مع أحدهم ..يركب سيارة ..أصبح الآن أمام منزله ..
رأى نفسه فى صالة المنزل ، ومعه صديق عمره (على)، كان صديقه يحاول أن يواسيه بكل الجمل التى خلقت لذلك..
لكن هيهات ..
لقد تحول القلب إلى نار تأكل كل خلاياه..
لقد فقد زوجته ..ثم ابنته الوحيدة..
وبدون سابق إنذار..
فجأة سمع صوته يتحدث وكأنما إرادة ما تحركه دون وعى :
-لماذا ! لماذا توفت ! لماذا هى بالتحديد !؟
سمع (علي) يقول فى استنكار:
- استغفر الله يا صادق ، قدر الله وأنت مؤمن ..
قاطعه صادق فى قوة:
-أنا لست مؤمنا ، لقد تخلى الله عني وجعلني أفقد من أحب.

وقف (علي)مستنكرا وهو ينظر فى ذهول لصديق عمره ..
لم يصدق ما يسمعه منه..
رآه يتجه إلى داخل المنزل ثم يحضر كرتونة صغيرة ويضع فيها بعض الكتب ..
رآه يتجه إليه وهو يقول فى حدة :
- هذه الكرتونة لك .
قال على فى تساؤل:
- ماذا يوجد بها؟
لم يصدق (على)نفسه عندما سمع (صادق)يقول:
-كل المصاحف الموجودة فى البيت ..
صرخ علي فى وجه صادق وهو يقول :
- اسمع ، أنت صديق عمرى ولن أسمح لك بما تفعله بنفسك ،هل ستكفر بالله ؟ هذا ابتلاء من عند الله فاحتسب واصبر..
قاطعه (صادق)فى قوة ، وهو يدفعه خارج المنزل :
-غادر المنزل يا علي
ثم دفع صديقه بقوة خارج المنزل مع الكرتونة وأغلق الباب .
كان يتحرك وكأن هناك قوة تدفعه لذلك ..
سمع طرقات (علي) على الباب ولكنه تجاهلها..
ارتمى على فراشه، يسمع صوت لهاثه..
غرق فى سبات عميق..
ثم رآها..
ابنته..
كانت تبتسم فى هدوء ..
ابتسم لها ،ثم لم يلبث أن ابتسامته تحولت الى فزع ؛ عندما رأى من يقف بجانبها..
مخلوق ناري بشع كالذي يراهم فى الأساطير..

له حوافر كالماعز..
كان يتكلم بصوت قادم من أعماق الجحيم..
-احضر لي لتنال ابنتك.
على الرغم من خوفه الشديد قال :
- من أنت ؟! ولماذا تكون ابنتي معك ؟! هي فى الجنة وليست لك..
ضحك المخلوق فى صوت شبيه بماء يغلى :
- جنة !هل مازلت تؤمن ؟ إن كنت تريد ابنتك تحيا خادم لي وحدى ..
صادق:- خادم !
نظر لابنته وهى تبتسم له ابتسامة مزقت نياط قلبه..
رآها تعبس فى وجهه ؛ عندما رأت فى عينيه تردد وحيرة..
ثم قال فى لهجة حازمة :
- أقبل ..
ضحك المخلوق ضحكة أفزعته ،ثم ترك ابنته تتجه لوالدها..
جرى (صادق)واحتضنها فى قوة ..
ثم هب من فراشه مذعورا..
كان حلما..
أو كابوسا. .
غادر فراشه واتجه الى مطبخه، يعد فنجان قهوة..
سمع صوت التلفاز يحمل له موسيقى تتر لمسلسل كرتوني كانت تعشقه ابنته..
اتجه فى حذر الى صالة المنزل..
اتسعت عيناه فى ذعر..
وانتفض جسده بأكمله..
كانت تجلس أمام التلفاز تشاهد مسلسلها المفضل. .
عندما لمحته ،هرولت إليه واحتضنه فى قوة ،وهى تقول بصوتها الهادئ:

- أبي! اشتقت لك!

*****

لم يستوعب (صادق)أن ابنته فى حضنه فعلا..
أخذ يتحسسها؛ ليتأكد من وجودها..
تركها واندفع يضع رأسه تحت شلال من المياه المتدفقة من الصنبور..
عاد لها مرة أخرى ..
تأكد أنه مستيقظ بالفعل، و على وعى تام..
احتضنها مرة أخرى، وفى هذه المرة بكى..
بكى كما لم يبك من قبل..
انهمرت الدموع من عينيه كالفيضان..
أخذ يقبلها وكأنما يحاول التهامها ..
احتضنها لتصبح داخل جسده ؛ حتى لا يخطفها ملك الموت مرة ثانية..
سمعها تقول :
-كفى يا أبي! لن أتركك مرة أخرى.
خرج منه صوته متهدجا:
-لا أريد أن أفقدك ثانية.
هزت رأسها وهى تقول :
-لا تخشى ذلك، (عمو) لن يجعلني أتركك مرة أخرى ولكن أستمع لكلامه..
ابتعد عنها قليلا وهو يسأل :
-(عمو)!! من هذا الشخص؟!
ابتسمت فى براءة وهى تقول:
- هو الذي أتى بي إلى هنا بعد أن كنت في مكان مظلم، وحيدة ، خائفة، أمسك بيدي وأخبرني بأنى سأعود إليك وسأكون بجوارك دائما ولكن عليك أن تستمع له وتصغى لكلامه.

جلس (صادق) على أقرب مقعد ..
كانت أعصابه لا تحتمل كل ما مر به منذ البارحة حتى اليوم ..
لم يتحمل فقدانها، ولا يستطيع تحمل رحيلها مرة أخرى ..
ثم من (عمو) هذا الذى تتحدث عنه ابنته..
هل هو من كان فى الكابوس ؟!
لكن هذا المخلوق المخيف كيف يمكن أن يكون (عمو) ..
كيف لم تخف منه ابنته..
سمع صوت جرس منزله يرن فاتجه ليفتحه. .
رأى رجل وسيم الملامح ، يرتدى بنطلون جينز، وقميص أحمر ناري، يصفف شعره الناعم بعناية فائقة. .
كان يبتسم..
لم يدر ما الذى جعل (صادق) يمقت ابتسامته..
سمعه يقول :
-ألن تدعوني للدخول؟!
صادق: - من حضرتك؟
الرجل: ستعرف، لا تتعجل المعرفة.
قالها وهو يدلف داخل المنزل ثم الى الصالة حيث كانت تجلس الإبنة تشاهد التلفاز..
سمع ابنته وهى تجرى نحو الرجل الغريب وتقول:
-عمو..
ثم احتضنته فى مرح.
وقف (صادق) ذاهلا. .
ثم انهار على أقرب مقعد..
نظر له الرجل وهو يقول بصوت هادئ:

- ماذا بك؟! أشعر بحيرتك وتساؤلك ، ألم نتفق بأن تصبح لى خادما عندما أعيد لك ابنتك.

ارتجف (صادق)فى دهشة ..

هل هو ذلك المخلوق الذى رآه فى منامه..

كيف هذا!؟

وكأن الرجل سمع ما يجول بخاطره..

- أنت ترى فقط قشرة ، غلاف خارجي، لن تستطيع تحمل رؤية وجهي الحقيقي، من الممكن في أحلامك فقط.

تكلم (صادق)بصوت ضعيف:

-من أنت ؟

ضحك الرجل ضحكة خافتة وقال:

- اعتبرني إبليس ، بعلزبول..لوسيفر..كلها أسماء تصل إلى نفس الهدف..

صمت لحظة وقال فى بطء:

-الشيطان

ارتجف (صادق)وقال:

- استغفر الله العظيم

خيل له أن الرجل قد تغيرت صورته وتموجت كأنها موجة بحر، أن لون عينيه قد تحول الى لون النار، وسمعه يصرخ:

- تستغفر الله ! الله الذي جعلك تفقد ابنتك.ألم تخرج كل كتبه من منزلك ؟! تمنيت عودة ابنتك بأي ثمن، ها أنا الآن أقدمها لك من جديد لتعيش لي وحدي، إن لم تقبل أعيدها من حيث أتيت بها.

ارتجف (صادق) وهو يتخيل أن تضيع ابنته منه مرة أخرى ..

كانت قد عادت تشاهد التلفاز فى براءة طفولية..

سمع نفسه يقول فى خفوت :

-وما فائدتي لك ؟!.
- مجرد خادم .
صادق : لا أفهم
الشيطان: هناك الكثير حولك لا تجدي معهم(الوسوسة)، يتطلبون أمورا لا ينفع معها سوى بشري مثلهم.
صمت (صادق) لحظة ثم قال:
- وكيف أفعل ذلك؟
خيل له بأن المخلوق يبتسم قائلا:
-سأرشدك
تمتم صادق في خفوت:
-من الممكن أن أبدأ بمن يرتادون محل الخمور الموجود في بداية الطريق.
ضحك الشيطان قويا ثم قال:
-محل الخمور! كل من فيه هم ملكي، باعوا أنفسهم لي، ولا أحتاج إليك كى تجذبهم نحوى
تمتم (صادق)فى خفوت :
- ماذا أفعل إذن؟
صمت الشيطان،ثم هتف في قوة:
- ابدأ بالمعتكف فى المسجد، بقارئ القرآن، بالمصلى لفروضه..
قال (صادق)وقد اتسعت عيناه:
- كيف ؟ كيف أقنع مثل هؤلاء بأن يكونوا معك؟
نظر الشيطان فى عينيه نظرة أذابت كل خلاياه وهو يقول:
- هذا هو المطلوب منك، ولابد من تنفيذه
ثم صمت لحظة وأردف:
-ابدأ بصديق عمرك (على)

"لو سمحت يا على .أنا أحتاج لوجودك بجانبي، وآسف عما بدر مني تجاهك"
بهذه الكلمات بدأ (صادق) حديثه الهاتفي مع صديقه (على)..
كان قد ذهل عندما أمره هذا المخلوق بهذا الأمر العجيب ..
لم يستوعب الأمر تماما..
وظل السؤال ملحا فى أعماقه..
هل هو الشيطان فعلا؟
هل هو الوسواس الخناس ؟
لقد سمع تلك الأسماء التى قالها هذا المخلوق من قبل ..
بعلزبول هو اسم رئيس الشياطين كما قرأ فى بعض الكتب. .
لقد أمره بأن يضم صديقه (على) ثم غادر منزله فى هدوء، تاركا إياه مصدوما، ذاهلا..
ضم صغيرته ..
أخذ ينظر إليها ويتفحصها جيدا..
كانت تبدو أطول قليلا ، لون عينيها قد مال إلى الاخضرار. .
شاحبة كالموتى. .
موتى!!
هي بالفعل من الموتى ، وقد عادت له ..
لكن كيف ؟!..
كل الكتب السماوية أقرت بعودة الحياة للموتى فقط يوم القيامة..
كيف عادت !؟
"لقد أعادها الشيطان لي ..
لا يهم ..
المهم، أنها الآن معي و لن أسمح بأن تتركني مرة اخرى"
هكذا حدث نفسه ،ثم قام أعد لها وجبة شهية لتأكلها وتعيد لها طاقتها ولونها الطبيعى..
واتجه نحو هاتفه وبدأ حديثه بالجملة السابقة..

سمع صوت على يقول :
-أنا لا أستطيع أن أغضب منك يا صديقي ..
- شكرا يا على ..
وبالفعل ،وصل (على) لمنزل (صادق)فى دقائق معدودة..
صادق :- أنا أشكرك يا علي لأنك لم تغضب مني .
على : أنت صديق العمر ولا أستطيع مقاطعتك، وأحب أن أُطمئنك بأن كل المصاحف التي تركتها لي قد تركتها في مسجد، وتنال ثوابا عند قراءة أحدهم فيها.
صمت (صادق) ثم هو رأسه وهو يقول:
-ومن أخبرك أنني أحتاج ثوابا ؟
اتسعت عينا (على)مستنكرا، كان يظن بأن صديقه قد عاد إلى رشده، وأن فقدانه لابنته أطاحت بعقله ، ثم لا يلبث أن يعود إلى رشده سريعا..
-استغفر ربنا يا (صادق)، كنت أظن أنك عدت لصوابك.
تمتم (علي) بتلك الكلمات، فجذبه صادق من يده واتجه به نحو غرفة النوم وفتحها ..
تراجع (على)فى ذهول وهو يحدق فى فراش ابنة صادق..
تمتم فى خفوت :
ـــ ما هذا يا صادق ؟
صادق: ألم أقل لك ! ها هى ابنتي قد عادت لي، ولن أتركها ترحل مرة أخرى.
نظر له (على)فى ذهول وقال:
-أين ذهب عقلك يا صادق ؟
عاد (صادق) مع (على) مرة أخرى إلى صالة المنزل ،وتنهد فى قوة وهو يقول :
- طلبت المساعدة من أحدهم واستجاب لي. طوال عمرى كنت أطلب المساعدة من الله فهل استجاب ؟

على : وأنت ماذا كنت تفعل له ليستجيب ؟ إنه يضعك في اختبارات كثيرة ليدرك مدى إيمانك ويبدو أنه إيمان هش، أنا طوال عمرى كنت أحثك لتواظب على الصلاة والصوم لكنك تعود لتهمل كل هذا،لقد سترك الله كثيرا وأنت لا تعلم أو تفهم.

هرب (صادق) من حديث صديقه وسأله:

-أنت انكسرت عندما توفت والدتك، ضعت وتعبت، أليس كذلك؟

جاوبه (على) في ثقة:

-بلى لكنني اتجهت لله ليقوينى،جعلني صبورا،أتحمل مرارة الفقد.

شعر (صادق) بالهزيمة فى الكلام ، فألقى بكل أوراقه مرة واحدة:

- ما رأيك لو والدتك عادت لك مرة أخرى؟

شعر (على) برعشة باردة تحتل جسده..

كانت علاقته بوالدته قوية الى أبعد الحدود..

انهار تماما عند رحيلها..

لكنه تماسك واستعان بالصلاة والقرآن..

الأن يأتي (صادق) ليخبره أن والدته بإمكانها أن تعود، وأن هناك من يمكنه ذلك .. سيعود مرة أخرى لحضنها.. لحنانها ..لحبها. .

رد (على)فى خفوت :

-وكيف يحدث ذلك؟..من بإمكانه فعل هذا؟

ابتسم (صادق)عندما سمع لهجة انكسار فى صوت صديقه ..

ربت على كتف (على)فى هدوء. ثم قال له:

- سأخبرك يا صديقي

*****

عندما شعر (صادق)باستكانة (على) بدأ كلامه دون مواربة، أو تلميح .. تكلم بصراحة مطلقة..

حكى له كل ما حدث دون أن يخفى شيئا. .

لمح الذعر فى ملامح صديقه وهو يتابع التفاصيل..
هب (على) من مكانه وقال:
- شيطان !! أنت تريد مني عبادة شيطان أو حتى أكون خادم لديه..
صادق: ستعود لك والدتك، ستملك المال إن أردت، ستنال من النفوذ ما تشتهي و..
قاطعه (على) في تحد واضح:
-الله وحده هو الذي يحي ويميت، ليس هناك من يستطيع أن يعيد الميت للحياة، الله وحده سيعيد الموتى يوم القيامة ، (وأخرجت الأرض أثقالها) أم نسيت الآية الكريمة؟
أشار (صادق)لحجرة ابنته وهو يقول:
- فسر لي هذا، من أعادها لي؟
نظر (على)إلى صديقه في استكار ثم قال في ذهول:
- أنت في حالة هلوسة يا صادق
اتسعت عينا (صادق) مستنكرا:
- لماذا ؟! لقد رأيتها، أليس كذلك؟
صمت على لتهدئة صادق قليلا وقرر أن يماطله لعله يصل لحل ما ، ثم أردف :
_أنا أقصد من الممكن ....
لم يجد جملة يفسر بها موقفه ،اتجه إلى الحجرة وذهب معه (صادق)..
كانت لا تزال نائمة فى سلام ..
فى تردد وضع (على) يده على جبهة من بالفراش..
وقف (صادق)فى مكانه، وكأن كلام صديقه قد ترك أثرا داخله..
فى هدوء تكلم (على):
-"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشيطان وأن يحضرون..

بدأت تهتز تحت يده ..
سمع صوت صراخها ..
وكان يكمل فى سرعة :
-حسبي الله الشديد لما أهملني. .ولمن كادني بسوء لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم..
هنا أمسكت الطفلة بيد (على) وصرخت وقد تحولت ملامح وجهها إلى الشراسة. ونشبت أظافرها فى يده وغرست أسنانها فى معصمه. .
كل هذا و (صادق) يقف ذاهلا لا يتحرك ..
لم يصدق أن هذه هي طفلته الوديعة ..
كان (على)يكمل رغم ألمه :
-لا حول ولا قوة إلا بالله أنجو بها من إبليس وجنوده ..لا حول ولا قوة إلا بالله أحصن بها روحي وقلبي..
كان يصرخ بشدة..
لم يستطع (صادق) أن يرى صديقه فى هذه المحنة ..
دفع ابنته بصعوبة عن (على)وكانت تقاومه..
صرخ بها:
- كفى
لم يكن عقله استوعب أن هذا الشيء ليس ابنته..
وفجأة ..
وقفت مكانها وتركت (على) الذى أمسك يده فى ألم شديد وكان ينزف دما..
قالت فى هدوء وبراءة وقد عادت ملامحها إلى السكينة والوداعة:
-عمو (على) يريدني أن أعود مرة أخرى للظلام ، هذا الكلام الذي يردده يعيدني للمكان الموحش الذي كنت فيه يا أبي.
ثم بكت ..

رق قلب (صادق) وكاد يتكلم..
لكنه سمع (على) يكمل أدعيته..
"يا حي يا قيوم ..برحمتك أستغيث..
هنا قفزت الطفلة على عنق (على) لتعتصره ..
وقع أرضا وفوقه ابنة (صادق) وهى تعتصر عنقه لتمنعه من الكلام تماما..
نفض(صادق)ذهوله، وهو يحاول دفع ابنته عن صديقه دون جدوى..
رأى صديق عمره وقد مال وجهه إلى الزرقة وينتفض من الألم. .
ابنته تقتل صديقه..
وبدون تفكير بدأ يقرأ القرآن ..
كل ما استطاع حفظه طوال عمره..
المعوذتين. الطارق ..البروج..
كل ما حمله عقله إليه..
رأى ابنته تترك صديقه، الذى بدأ يتنفس من جديد بصعوبة ولونه يعود طبيعيا..
التفتت له ابنته وهى تقول فى براءة:
-أبي ..أنت تريد عودتي للظلام!
كان (صادق)يكمل قرآنه..
-أبي..أنت لا تريدني!
بكى ،وانتفض..
ولكنه كان يقرأ ما استطاع وكأن لسانه أصبح خارج سيطرته ..
وفجأة سمع صوت يقول :
- والدك لا يريدك ، عاد مرة أخرى لأفكاره القديمة ..
وكان هو ..
كان المخلوق فى هيئته الحقيقية..
قرنان طويلان، وحوافر طويلة ،وجسد ناري. .

كان يضحك فى شراسة وهو يقول :
-أنت نقضت الوعد ..هذه المرة لن لن أعود بابنتك فقط، بل سأعود بك أنت أيضا
*****
كان (صادق)يرتجف من فكرة فقدانه لابنته أكثر من خوفه من هذا المخلوق ،الذى تجسد أمامه بصورته المفزعة..
كان (على) لا يزال يحاول التنفس بشكل طبيعى، ولونه يعود طبيعيا..
رأى (صادق) ابنته وهى تتجه الى ذلك المخلوق فى هدوء شديد ..
أمسك (صادق) بذراع ابنته يحاول منعها من الوصول إلى المخلوق الذى وقف ثابتا ينظر لها والنار يتطاير منه فى كل صوب..
رغم ضآلتها، لم يستطع (صادق) منع ابنته من التوجه لهذا الشيطان .
رآها تقف أمامه ثم تقول فى صوت بدا له مخيفا :
-سيدى. دعني أعود لك ..
فرد المخلوق ذراعيه، واحتضنها ..
صرخ (صادق) مناديا ابنته فى لوعة..
انهار تماما وهو يراها وكأنها تذوب داخل الشيطان وتصبح جزءا من جسده الذى توهج لحظة ثم عاد لطبيعته ..
واختفت تماما..
وبكل الألم الذى احتواه ،صرخ (صادق) باسم ابنته..
رأى (على)يقف أمامه يحاول تهدئته، ولكن بلا جدوى..
سمع الشيطان يقول فى تشف واضح :
- أنت قد اخترت، فشلت حتى فى أول محاولة ،من الواضح إنى أخطأت عندما اخترتك لتنال شرف خدمتي
صرخ (صادق) فى وجهه:

-هذه ليست ابنتي، من المستحيل أن تكون هى، طفلة بريئة طاهرة كيف تردد أنك سيدها وتختفي بداخلك، ليست ابنتي.
كان (على) لا يزال يردد بعض الأدعية، صرخ الشيطان وهو يشير إليه ويقول:
-اصمت ..
كانت رياح شديدة قد هبت داخل الحجرة .
رياح ساخنة ..
كان الشيطان قد اتجه إلى (على) محاولا الخلاص منه ..
كان النار تندفع منه فى كل اتجاه..
صرخ (صادق)وهو يدفع الشيطان بعيدا وفى يده أحد مقاعد الحجرة حتى لا تحترق يداه .
كانت الحجرة أصبحت قطعة من الجحيم ..
رياح ملتهبة ..نيران تخرج من جسد المخلوق الذى كان يحاول الخلاص من (على) وهو يقرأ القرآن. .
و (صادق)الذى أخذ يضرب جسد المخلوق بقوة..
وفجأة طارت مزهرية كانت موضوعة على طاولة صغيرة ..
طارت لتندفع بقوة على رأس (صادق)،فترنح قليلا ثم أظلم المشهد أمامه تماما..
وساد الصمت ..

*****

وقف (على) خارج غرفة أحد المستشفيات ،وهو يشاهد (صادق) من خلال زجاج جانبي فى حائط الغرفة ..
كان (صادق)ممدا على الفراش تحيط به الأنابيب والأسلاك ..تحيط ضمادة كبيرة حول رأسه، كان يبدو عليه بعض الكدمات فى كل أنحاء جسده..
(على) هو أيضا كان يبدو عليه كدمات وجروح كثيرة وقد وضع ذراعه فى جراب للكسور والتمزقات. .

سمع صوت الطبيب بجانبه وهو يقول:
-بإذن الله سيكون على مايرام.
على :
- فعلا يا دكتور! إنه صديق عمري، لا أدري كيف أصبح في تلك الحالة.
هز الطبيب رأسه ثم قال :
- هذه حالة تسمى اضطراب ما بعد الصدمة (Post Traumatic Stress Disorder)..لو راجعت كلامك سوف تتأكد من هذا .

على:
- فعلا . عندما توفت ابنته تغير تماما وتبدل ..انقطع على الصلاة وأخذ كل المصاحف وجمعها فى كرتونة، وفى اليوم التالي طلب أن يراني وعندما ذهبت إليه رأيته في حالة هيستيرية، يتحدث عن شيطان، عن ابنته التي عادت! وبالفعل رأيته يحتضن عروسة ابنته معتقدا أنها هي،ويريد مني أن أصدقه، وأنها عادت للحياة مرة ثانية..
صمت (علي) يلتقط أنفاسه، ثم واصل كلامه:
-عندما كنت ألحاول إقناعه بأنها مجرد لُعبة كان يثور ويغرس أظافره في يدي وعنقي، كنت أحاول تهدئته بالأدعية والقرآن ، يهدأ قليلا ثم يعاود ثورته ويتحدث عن الشيطان،وفجأة صرخ ثم تناول مقعد وأراد أن يقذفني به، لم يترك لي سوى أن أقذفه بمزهرية كي أفقده الوعي قليلا ويهدأ.
تنهد الطبيب وهو يقول:
-كان من الضروري ذلك، لا تحمل عبء ذنب لم ترتكبه، صديقك سيكون بخير، ولكنه يحتاج لطبيب نفسي جيد ،صديقك إيمانه ضعيف ودرجة تحمله هشة.
صمت (على)وعاد ينظر ل (صادق) ثم استأذن الطبيب وذهب للجلوس، فقد كان أرهق تماما..
عقد حاجبيه وهو ينظر إلى شخص يجلس بعيدا على أحد المقاعد..

خيل له أنه يبتسم له..
رآه يقف ثم يحييه من بعيد بإشارة من يده ..
ثم يغادر المستشفى. .
شرد (على) قليلا ..
من هذا الشخص ؟
هل يعرفه؟
ما الذى لفت انتباه في هذا الشخص؟
ما الملفت فى هذا الشخص سوى أنه يرتدى بنطلون جينز وقميص أحمر ناري ،ويصفف شعره الناعم بعناية فائقة؟
ما الملفت ؟!..

تمت

***

أحلامك أوامر

عندما لمحته، حددت شخصيته على الفور..
كان قادما من بعيد يرتدي معطف كاروهات قد ضاعت ملامحه، ولم يعد يستدل على لونه..
كان يمسك فى يده منديل قماش يجفف به عرقه، واليد الأخرى جريدة طبقت بطريقة خاصة يدركها مدمنو شرائها. .
وفى أسفل المعطف بنطلون أسود باهت قصير يكشف بوضوح لون شرابه المخطط..
وصل عندى وقال فى لهجة لزجة:
-ممكن التليفون لو سمحت؟
كان المكان الذى أعمل به يحتوى على هاتف داخلى ومباشر..
ولم يكن قد ظهر الهاتف المحمول بعد ..
قلت له فى ترقب:
-اتفضل.
طلب رقما ..سمع رنينا..جاء الرد..
تبدلت ملامحه وهو يقول فى لهجة متصنعة:
-سعادة الباشا ..الورق انتهى ..تمام ..أحلام سيادتك أوامر يا فندم..
أغلق السماعة ثم طلب رقما آخر..
_أحمد بيه ..لا أصدق إننى أتحدث مع سيادتك..أين حضرتك منذ زمن ؟اشتقت لك فعلا! أوامر حضرتك يا باشا.
طلب عدة مكالمات وتكلم بنفس الأسلوب ..
ثم أخيرا أغلق السماعة وسألني :
_كم الحساب؟
ابتسمت فى تصنع :

_عشرجنيهات
لمحت رعشة أسفل عينيه، واتساع لحدقة العين، وصوت مرتجف يقول :
_أليس كثيرا؟ أنا تركت جميع الأماكن وأتيت للاتصال عند حضرتك لأنك شخصية جذابة وبها كاريزما محببة!
ابتسمت ابتسامة صفراء وأنا أقول:
_لا.آسف ..لا أحب مثل هذا النوع من الكلمات ولا حضرتك ولا سيادتك..
ثم قلت فى لهجة حادة:
_عشر جنيهات لو سمحت ..
ومن يومها لم أعد ألمحه بجانب المحل تماما..

(تمت)

***

الحب والحرب

كان صوت الطبل والمزمار يدوى فى قرية بشلا كلها، تلك القرية التابعة لمركز ميت غمر محافظة الدقهلية، حيث بدأ الاستعداد لهذا اليوم قبل أسبوع كامل وتزينت القرية بأكملها لزفاف (صفية) و(علي) أطيب قلبين فى القرية بعد قصة حب نقية منذ الصغر.

(على) شابا فى منتصف العشرينات من عمره، نحيل الجسد، يمتلك وسامة محببة، يجلس مبتسما وكأن العالم لا يسعه ، ظلت (صفية) تلك الشابة الجميلة صامتة وعلى وجهها ابتسامة خجلى. اقترب منها عجوز يبدو عليه المهابة ومد يده ليصافح (على) في قوة قائلا:

_ابنتي أمانة في عنقك يا (علي) .

ثم التفت إلى ابنته محذرا:_لولاكِ ما كنت رضيت أو باركت هذه الزيجة.

توترت (صفية) وهى تقول:_بارك الله لك يا أبي.

أدرك العجوز أن ابنته تغلق الحديث كعادتها فهز رأسه ومط شفتيه وابتعد عنها .

علي:- والدك لا يتقبلني كزوج لكِ رغم مرور تلك الأعوام ونحن نحاول إقناعه بزواجنا .والدك يرفضني لأن عائلتي فقيرة وليست ..

بترت صفية كلامه :- لا تهتم للأمر؛ فقد انتظرنا هذا اليوم أعواما ولن أقبل بفرحة يشوبها حزن،من اليوم حياتنا كلها ستكون بهجة صافية.

قالتها وقلبها ينبئها بأنها مخطئة تماما..

وكان على حق.

*****

انتفض (علي) فزعا، وأطلقت (صفية)صرخة خوف وهى تسمع تلك الضربات القوية على باب منزلها الصغير. كان من الواضح أنها طرقات أمنية ولهذا فقد أسرع (علي) للباب وفتحه في قلق وهو ينظر إلى خفير نظامي ضخم الجثة صاح به في حدة:

_عندك استدعاء للجيش.
علي:_ماذا؟ زفافي كان البارحة، وأنا كنت في المعسكر عن قريب و..
قاطعه الخفير :_البلد في حالة حرب، سوف تأتي معي الآن.
اتسعت عينا (علي) فزعا وانهارت(صفية) في البكاء وهي تشاهد زوجها يمتثل للأمرفي ألم، ثم أمسكت بيده وهى تهتف :_ستعود.
نظر لها بعيون دامعة وتمتم :
-إن شاء الله.
وبقلب عاجز وإرادة مسلوبة غادر (علي) المنزل ومعه قلب (صفية) المحطم..

*****

صمتت القرية صمت القبور واتشحت النساء بالسواد فى ذلك اليوم المشئوم .
كانت أخبار نكسة يونيو 1967م قد انتشرت فى ربوع مصر بعد محاولة التستر على أحداثها واحتل الحزن كل بيت مصري ومن بينهم بيت صفية التي ظلت صامتة، واهمة.
اقترب منها والدها واحتضنها فى حنان وهو يقول :_سيعود بإذن المولى يا صفية.
لم تنظر إليه ولكنها تمتمت :_لم تحبه يا أبي ولكني عشقته،كان لي الماء والهواءو الدنيا بأسرها.
غمغم في خفوت :_كنت أراه أدنى منكِ،أنتِ ابنة الحاج(عوض الشربيني)،الرجل الذي تهابه أهل القرية كلها بما فيها عمدتها.(علي)شاب فقير من عائلة(الزكي) وهم بالكاد يعيشون حياتهم ولولا والدتك –رحمها الله- ما كنت قبلت.
ثم تنهد وقال:_سيعود يا ابنتي وستظلين عندي حتى عودته.
سالت دموع (صفية)من عينيها المنتفخين وشردت بأفكارها وحواسها هناك..
في سيناء..حيث المحبوب..

*****

ستة أشهر كاملة مرت ولم تفقد صفية الأمل في عودة زوجها وفقد الجميع الأمل في عودة ابن قريتهم واعتبره البعض شهيدا من شهداء النكسة حتى والدها حاول أن يلمح بكلامه عن ذلك ولكنها صرخت في وجهه "سيعود".

وفي فجر يوم ممطر لمح المصلون شابا مألوفا،فقد نصف وزنه فانثنت قامته وازداد سمرة.

كان يسير في بطء شديد، متهالكا، خاوى النظرات..

صرخ الجميع:_ (علي)!

تحلق الكثير منهم حوله، ولم يكد يطمأن بقربهم حتى سقط وسط أكتافهم فاقد الوعي.

لم تصدق (صفية) عيناها رغم شعورها الدائم بعودته ..

كانت تتأمله وهوفاقد الوعي، طريح الفراش وهي تحاول منع نفسها من إلقاء نفسها بين أحضانه..

تجهم وجهها عندما لمحت ذراعه اليمنى أو بالأدق عندما لم تلمحها..

كتمت صرخة ألم وانسابت دموعها بغزارة فلم تشعر بوالدها وهو يربت على كتفها ويقول:_طبيب الوحدة سيأتي الآن وسيتعافى زوجك يا (صفية).

صفية:_لقد فقد ذراعه يا والدي.لقد تألم كثيرا طوال تلك الفترة.

ثم انهارت فى حضن والدها الذى ضمها في حنان،ونظر له فى عطف أبوي لأول مرة.

كانت النكسة قد بدلت الكثير من مشاعره وشعر مثلما شعر الكثيرون بأن كل جندي هو ابنه الذى لم ينجبه.

ولم تلبث لحظات حتى امتلأت الحجرة بالأهل والأقارب ومنهم والدة (علي) المسنة، وعمه الذي يرعاه منذ وفاة والده ، كانا يشعران بمزيج من الفرحة والحزن وهما ينظران له وطبيب الوحدة يفحصه بعناية ويخبر الجميع بأنه يحتاج للكثير من العناية فقد يبدو أنه عانى الأمرين طوال الفترة السابقة، وأن ذراعه قد عولجت بطريقة بدائية يستخدمها بعض البدو؛ ولكنها منعت نزيف الدم وداوت جراحه، ثم غرس محقنا في ذراعه وطمأن الجميع.

وبعد ساعة كاملة بدرت من (علي)آهة مكتومة، وهتف فى لوعة "**صفية**"، فاقترب الجميع منه ليحتضنه في رقة وبكت والدته في حضنه الدافىء.
كانت (صفية) تنتظرهم جميعا؛لا ترغب في ترحاب منقوص أو مسلوب.وكأنما أدرك الجميع ذلك واستعدوا لإخلاء الحجرة، فقبلته والدته وربت عمه على كتفه مشجعا وابتسم له والد (صفية) في أبوة صافية.
ارتمت (صفية)فى أحضان زوجها وبكت غير مصدقة،وهو يتمتم في عتاب:
_لا بكاء بعد اليوم، كفانا ما حدث، ولولا عناية الله ما كنت نجوت من الشظية التي أطاحت بذراعي؛ لقد أنقذني بدو سيناء ولكن رحلة عودتي إليكم كانت شاقة كدت أفقد حياتي مرة أخرى و..
قاطعته(صفية) في عطف:_لا تتحدث كثيرا؛ فأنت تحتاج للراحة.
علي:_لقد فقدت ذراعي التى كنت أرعى بها أرضي.
صفية:_والدي قد تغير ومن الممكن أن...
علي:-لن أسمح بذلك،ولن يساعدنا أحد حتى لو كان والدك.
صمتت (صفية) وشردت لحظات،ثم ابتسمت ابتسامة واسعة وهي تنظر فى عينيه وتقول :_سيرزقنا الله، لقد عدت لي ومعا سنهزم المستحيل.
ضمها في حنان وابتسما سويا وهما يستمعان لكروان يغرد في الأفق..
وصوت يُطمئنهما بأن الملك لله وحده.

تمت

*****

التجربة

التف حشد كبير من الصحفيين، ورجال الأعمال وصفوة المجتمع، حول رجل وقور، أشيب الشعر، يرتدى نظارة طبية، كان يبدو عليه الاهتمام بأناقته فقد كان يرتدى حلة سوداء فاخرة ورباط عنق أنيق، كان يبتسم وهو يقول:

--أرجو الهدوء فبعد قليل سأبدأ المؤتمر الصحفي وسيحصل الجميع على إجابات لكل الاسئلة .

ثم اتجه فى غضب إلى منصة صغيرة أعدت للمؤتمر، ووقف أمام الحشد وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه..

وبدأ البث المباشر للمؤتمر..

ساد الصمت فى القاعة، وجلس الجميع فى أماكنهم المخصصة ..

سمع صوت يقول :

- أيها السادة ..الآن يبدأ البث المباشر للمؤتمر الذى يضم صفوة العلماء فى جميع المجالات ..واليوم يعلن العالم الجليل (منير عزت) عن كشفه الخطير فى مجال الصيدلة..

صفق الجميع بحرارة ،فتمتم د .منير :

-شكرا لكم .

ثم تنهد وبدأ كلامه :

- أشكركم أيها السادة على الحضور ..وأشكر كل من يتابعنا على القنوات الفضائية..

ثم تغيرت لهجته إلى الجدية وهو يكمل:

- الكشف العلمي الذى توصلت إليه استغرق منى سنوات طويلة حتى أصل للمرحلة التى أتمناها..

وبفضل مجهودي استطعت الوصول إلى النتيجة الحالية..

أبحاثي كلها تعتمد على النمو العقلي، قد استطعنا أن ندرك نسبة ذكاء الطفل وهو مازال فى طور الجنين ..

قاطعه أحد الجالسين:

-ولكن الذكاء له مقاييس أخرى غير مقاييس الوراثة، منها الاحتكاك بالمجتمع وظروف البيئة.

عقد د .منير حاجبيه فى غضب وقال:-

لا تقاطعني أبدا حتى انتهى ..

ثم عاد ليكمل :

- عند إدراكنا لنسبة الذكاء ندرك هل سيكون فردا فعالا ذكيا فى دولته ..أم غبيا عالة عليها..

قالها وهو ينظر لمقاطعه وكأنها إشارة له ..

أكمل فى صوت متهدج:

- كشفي عبارة عن عقار تتناوله الأم فى مرحلة الحمل وقبل الإنجاب بفترة كافية ..هذا العقار يحفز بعض خلايا الجنين لزيادة نسبة النمو العقلي لديه..

سرت همهمة بين الحشد وقال أحدهم :

-قد يكون هذا خطرا على الأم او الطفل ..

هز د. منير رأسه نفيا وهو يقول:

- بالطبع لا، العقار يصل إلى الجنين لينشط خلايا المخ ولا يسبب أدنى ضرر له ..

قال أحد الجالسين :

- وكيف لنا أن نتأكد من صحة عقارك..

قال د .منير فى تحدى:

- لكل اختراع تجربة أولى ..وأنا بدأت تجربتي وفى انتظار النتيجة ..

ثم أشار إلى سيدة تبدو فى الثلاثين من عمرها وقال :

- أقدم لكم زوجتي. تحمل فى أحشائها طفلي الذى وصل له العقار وبدأ عمله فى عقله منذ أسبوعا كاملا ..

تعالت صيحات الدهشة ،والاستنكار ..

إلى هذه الدرجة متأكد من صحة عقاره..

سمع الجميع صوته وهو يقول:

- زوجتي فى الشهر الخامس الآن ..وفى الدورة التالية من المؤتمر ستتضح النتائج كاملة ..

****

تمت الولادة بصورة طبيعية للغاية ..أفضل مما كان متوقعا لها..

ولكن حرصا على صحة الطفل تم نقله الى حجرة رعاية خاصة للغاية..

كانت لهفة د. منير كبيرة وهو ينظر له فى اهتمام شديد وهو يقول :

ـــ تعال يا صغيري. اثبت للعالم صحة كشفي العلمي.

ضحك الطبيب الذى اجرى الولادة وهو يقول:

ـــ ها هو أمامك ..طبيعي وسليم تماما ..وزوجتك على ما يرام.

لم يبال د. منير بأمر زوجته بل قال متسائلا:

ـــ هل كان هناك شيء أثار الانتباه أثناء الولادة ؟

هز الطبيب رأسه نفيا وقال:

ـــ مطلقا ..لم يحدث شيئا يلفت النظر.

وابتسم د. منير في راحة و بقرارة نفسه أنه حقق انجازه العلمي..

*****

مرت الأيام فى سرعة ..

لم يحدث شيء يثير الريبة. .

خرج الطفل ومعه والدته من المستشفى..

عاش الطفل فى المنزل الكبير الذى يمتلكه د منير وقد كان يجلس معه بصورة مستمرة أكثر من والدته..
كان يراقب ردود أفعاله كلها..
يجرى تجاربه عليه كفأر تجارب..
كان يتجاوب معه بصورة مذهلة ..
امتلأت نفس د. منير بالزهو وهو يشعر باقتراب نجاح تجربته..
سمع صوت زوجته تقول فى رجاء:
-كفى يا منير ..طفلنا قد أرهق تماما..
نظر لها منير فى غضب وقال:
-عندما تناولت تلك العقاقير كنت تدركين أن ذلك سيحدث..
قالت فى مرارة :
-يا ليتنى لم أتناول أية عقاقير.. لم أكن أعلم أنه سيتحول فأر تجارب
عقد منير حاجبيه فى ضيق وقال:
- ابننا عبقري ..هل تفهمين ؟
هزت رأسها فى توتر ،وصمتت وهى تنظر لولدها..
كانت تلمح نظرة فى عينيه، تسبب لها رعبا خاصا..
تشعر برجفة وهى ترضعه، احساس مبهم كلما اقتربت منه..
كانت تلمحه يبتسم ابتسامة بدت لها ساخرة..
كان ينظر لها وكأنه يخترقها..
أسرعت تغادر المكان فى سرعة وذعر..
وعاد د منير ينظر لطفله ويتحدث معه كأنه يفهمه:
- والدتك ستكون عقبة فى نجاح التجربة ..
لمح د. منير طفله وكأنه يهز رأسه موافقا على قوله..
ثم لمحه ينظر حيث كانت والدته تقف ..ويبتسم ابتسامة لم ترق لوالده ..

ابتسامة بدت شرسة بالنسبة لطفل رضيع..

*****

مضى عام كامل ..

أقيم احتفال كبير فى منزل د. منير بمناسبة مرور عام على مولد ابنه..

حضر الاحتفال لفيف من العلماء، وبعض الأصدقاء ومنهم صديق عمره (خالد)، الذى اقترب من د. منير وقال له فى تساؤل:

- أراك قلقا، ماذا بك ؟!

ابتسم د. منير ابتسامة لم تخف لهجة التوتر حين قال:

- وماذا بي ؟! كل ما فى الأمر أنى لا أحب الاحتفالات الساذجة مثل أعياد الميلاد وما شابه ذلك.

خالد :

- ولماذا أقمت عيد الميلاد إذن ؟

د. منير:

- كل هؤلاء العلماء ينتظرون فرصة الخطأ، أردت أن أثبت لهم أن الحالة بخير وأن عقاري لم يؤثر بالسلب على طفلي، عندما يروه سيعرفون أن كل شيء تحت السيطرة

خالد:

- وأين هو الآن ؟!

أشار د منير إلى غرفة النوم وقال:

- مع والدته ؛ تعده للاحتفال .

-- فى نفس اللحظة ، كانت الأم فعلا تعد طفلها لحضور عيد ميلاده، وكانت تبتسم له وهى تقول :

-الآن أصبحت جاهزا للحضور ..فى قمة الأناقة يا طفلي العزيز ..

اصطدمت عيناها بنظرته القاسية ، فتراجعت فى ذعر وهى تقول :

- كيف لطفل مثلك أن ينظر مثل هذه النظرة القاسية، عيناك تبدو وكأنها لرجل بالغ قاسي فظ القلب

شعرت بألم شديد فى عقلها ..

ثم نظرت حولها ،ومدت ذراعيها أمامها وكأنها تحاول أن تسبح ..

قالت فى صعوبة شديدة :

-كيف هذا ..كيف؟

صرخت فى قوة..

ثم ساد الصمت ..

جذبت الصرخة انتباه الحاضرين واندفع الجميع نحو مصدر الصرخة ..

أسرع د. منير نحو الغرفة فى توتر ملحوظ..

ثم تراجع فى ذعر ؛ وهو يلمح جثة زوجته ملقاة على الأرض وعلى وجهها أبشع آيات الرعب والفزع ..

سمع صوت صديقه (خالد) وهو يقول له:

- رحماك يا إلهى ..ماذا حدث ؟!

صرخ أغلب الحاضرين فى فزع ..

لم يتمالك د. منير نفسه فجلس على مقعد صغير، ثم التفت إلى طفله الذى كان ينظر إليه فى نفس الوقت ..

هل خيل إليه انه يرى نظرة انتصار فى عين طفله؟..

هل خيل له أن طفله، يبتسم فى هدوء وانتصار ..

ولأول مرة بدأ التوتر يغزو أعماقه ويحتلها. .وبعنف..

******

هز الطبيب رأسه فى ذهول وهو يقول :

-زوجتك أصيبت باختناق شديد، وفى نفس الوقت لا يوجد آثار على عنقها تدل على ذلك، لقد أصيب كما لو غرقت فى مياه عميقة.

تراجع د. منير فى مقعده وقال:

- غرقت !!كيف !!القد كانت على أرضية الغرفة وليست فى نهر أو بحر ..أيضا زوجتي لديها فوبيا من المياه

صمت الطبيب قليلا ثم قال:

- أنا أشرح لك الموقف فقط، هذا ما تدل عليه معالم التشريح.

صمت د. منير ..

كانت فكرة ما بدأت تتضح فى عقله ..

وعزم على تأكيدها..

كانت مدام (يسرية) تقف أمام د. منير فى حزن ، تطرق رأسها أرضا وهى تتمتم:

- البقاء لله. لقد أحزنني وفاتها كثيرا

منير:

- شكرا لك يا (يسرية)، لقد بعثت فى طلبك لأنني علمت أنك أفضل مديرة منزل، وقد أثنى عليك صديقي (خالد)..

يسرية:

- أتمنى أن أكون عند حسن الظن

اتجه منير إلى حجرة طفله، مع مديرة منزله فرأى نائما ..

همس منير:

- ها هو ما زال نائما، أنا سأذهب إلى موعد هام وأرجو الاعتناء به

يسرية:

- لا تخشى شيئا يا د. منير، سأعتنى به كأنه ولدى.

هز د. منير رأسه فى فهم، ثم تمتم بكلمة خافتة مبهمة، وغادر المنزل..

اتجهت إلى غرفة الطفل، وفتحت الباب لتراه أمامها مستيقظا ينظر لها فى ثبات كأنه يتوقع قدومها..
لم تدر سبب تلك الرعشة التى انتشرت فى جسدها، ولكنها اقتربت منه ثم حملته بين ذراعيها ،وهى تهمس:
- من الآن أنا التى ستكون بجانبك .. لا تقلق..
ثم نهضت تعد له طعامه وتسكب عليه بعض اللبن ..
أشاح بوجهه عن الطعام، وحاول الابتعاد..
حكمت قبضتها على ملابسه ،وهى تقول :
-ستتناول طعامك مهما حدث ..أنت فى حاجه إليه.
نظر لها نظرة أخافتها ..
ارتجفت بشدة..
سمعت صوت أقدام تقترب فى هدوء..
اقتربت من باب الغرفة ،وهى تقول :
- د. منير ..هل أتيت ؟!
تسمرت فى مكانها فى فزع ..
صرخت صرخة مدوية ..
كان القادم إليها آخر ما يمكن أن تتصوره..
وبكل الخوف صرخت :
-أنت !!!!!!!

*****

وقفت سيارة د. منير فى مكان مظلم صامت تماما الا من صوت بعض الحشرات، ونباح الكلاب الضالة، خرج من سيارته فى حذر ، ونظر حوله ..
الظلام يلف المكان ..
كانت منطقة بعيدة عن العمران ..

سار فى ترقب حتى اقترب من بوابة حديدية مفتوحة ..
واتضح المشهد..
إنها مقابر قديمة، تمتد الشواهد منها فى كل صوب ..
اقترب من أحد القبور، ووقف أمامه ينظر إلى الاسم المكتوب على لوحته..
خفض رأسه وسالت منه الدموع ..
ثم تنهد تنهيدة قوية، وسار إلى داخل المقابر وهو يستخدم المصباح فى هاتفه المحمول..
وقف أمام حجرة بنيت وسط القبور حتى اتخذت شكلها وظن البعض أنها قبر مجهول.
اقترب من الحجرة ، ودق بابها ..
جاوبه الصمت لحظات ، حتى سمع صوت أقدام تقترب ثم صوت مزلاج حديدي يفتح ..
طالعه وجه عجوز ممتلئ بالتجاعيد، له نظرات ثاقبة، وأنف كبير..
وبصوت مبحوح قال العجوز:
- من أنت ؟
د. منير:
- أنا د. منير يا (هلباوي)، ابن د. عزت الدسوقي
بدت شبه ابتسامة على وجه العجوز وهو يدعوه للدخول :
- اتفضل يا دكتور
لحظات قليلة وكان الدكتور داخل الحجرة القديمة، التى امتلأت بالمقاعد و الطاولات الخشبية وانتشرت أحجار المعسل فى كل ناحية ..
جلس د. منير على أحد المقاعد ،ثم جلس العجوز على مقعد مجاور له وهو يقول:
- ما الذى أتى بك فى تلك الساعة ؟
ابتسم د. منير فى سخرية وهو يقول :
- تلك الساعة !! إنك تبدأ عملك فى تلك الساعة. .
ابتسم العجوز وهو يقول:

- الشرطة ..يبدو أن أحدهم وجه الشرطة لطريقنا ..
صمت د. منير ثم تنهد وهو يقول:
-جئت لك لأعلم شيئا واحدا
أخرج من جيب معطفه كيسا يحتوى على أعشاب سوداء ..
ثم أكمل كلامه وهو يمسك بجلباب العجوز بقوة:
- ما هذا بالضبط ؟!

كانت دهشة (يسرية) رهيبة وهى ترى القادم إليها..
كان زوجها المتوفي..
صرخت:
-كيف ؟! أنت شخص ميت .
سمعته يقول:
- أنت سبب موتي أنا وولدي..
انهارت ولم تعد ترى فى المكان سوى الفراغ ..
صرخت :
- ماذا فعلت ؟! لماذا كنت السبب ؟!
صرخ في قوة:
- إهمالك فى إغلاق الغاز كان سببا في مصرع ابننا ومصرعي، غادرتي المنزل لعملك وتركتي الغاز ينتشر فى كل مكان حتى اختنقنا معا..قتلتينا بلا رحمة ..
صرخت :
- لم أتعمد ذلك، صدقني ..
ضحك فى قوة وقال:
- حتى لو اقتنعت ..اقنعى ابنك بذلك ..
تراجعت فى قوة وصرخت وهى ترى ابنها يقترب منها ..

وكان ينظر لها نفس النظرة الثاقبة ..
اقترب منها فجأة حتى أصبح أمام وجهها ببشرة زرقاء عفنة وقال فى صوت تردد صداه في كل مكان:
-لقد قتلتيني يا أمي، قتلتيني بلا رحمة.
هنا.. لم تستطع التحمل ..
لم تستطع أن تواجه ابنها بما يثقل به قلبها، كانت بالفعل تلقي اللوم على نفسها ..
صرخت ..
حتى انهارت تماما، واختفى كل من حولها ..
وساد الظلام ، والصمت ..

كان العجوز ينظر إلى الكيس الذي يحمله د. منير ثم أخذه منه وهو يقول :
- كيف وصلت لهذا الكيس ؟
عاد د. منير يقول :
- ما هذه الأعشاب يا هلباوى؟
- أنت سرقت هذا الكيس مني.
- أكرر لك ..ما اسم تلك الأعشاب ..؟
صمت العجوز وجلس فى مقعده وهو يبتسم ساخرا ،قائلا:
- لقد بحثت عن هذا الكيس فترة طويلة، لم أتخيل لحظة انك انت الذى سرقته ..د. منير العالم الجليل الفذ يسرق ..
ثم عاد يضحك وصوت صدره كأنه محرك سيارة قديم :
- ماذا فعلت بهذه الأعشاب؟
صمت د. منير لحظة ثم قال:
- لقد استخدمتها فى عقار، وهذا العقار وصل لابنى قبل أن يولد ..
اتسعت عينا العجوز فى ذعر شديد وصرخ :

- ماذا فعلت ؟!
ثم جاء دوره ليمسك هو بمعطف د. منير فى قوة وقال:
- لقد فتحت أبواب الجحيم ..هل تفهم أبواب الجحيم.
*****
قبل تلك الأحداث كلها بفترة ليست بالقليلة ، رحلت والدة د. منير ..
والدته التى غمرته بالحنان والعاطفة ، وبادلها هو نفس الشعور..
انهار ..
لم يصدق الجميع أن ذلك الشخص البائس هو د. منير..
وفى جنازتها رحل الجميع ما عدا هو ..
صمم على البقاء ، حتى عم الظلام..
هنا بدأ يعود لوعيه، ويدرك أن عليه الرحيل من هنا ..
بدأ يغادر مكانه، ولكنه أدرك أنه تائه..
ذهب يمينا، ويسارا، حتى اصطدم به ..
عجوز ممتلئ التجاعيد، يبدو كشبح وسط الظلام ..
فزع د. منير لأول وهلة ثم أدرك الموقف ..
سأله العجوز :
-من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!
أجابه د. منير :
- كنت فى جنازة والدتي ..مقابر آل الدسوقي
هز العجوز رأسه متفهما وقال :
- أراك منهارا. .تعال معي
صمت د. منير وكأنه ينساق الى قدر محتوم..
وجد نفسه يدخل حجرة واسعة بين المقابر، ورأى أمامه بعض الرجال يدخنون ويسعلون فى قوة..

كانوا يضحكون بلا توقف ..
أدرك د. منير أنها (غرزة) كما يطلقون عليها..
وأن عليه الرحيل ..
فجأة رأى العجوز من بعيد وهو يعد نرجيلة ويضع فيها كمية قليلة من أعشاب لونها أسود..
ثم يخلطها بقليل من المعسل. .
رآه يأتي إليه ويقدم له النرجيلة..
فى البداية رفض د. منير رفضا قاطعا ، ولكن العجوز ألح ..وألح، وأوضح له أن ذلك الشيء سيخرجه تماما من حالته الحزينة..
ورضخ. .
شد دخانها فى حذر..
مرة فأخرى رأى نفسه فى عوالم متجددة، وشعور بالطاقة لم يمر به قبل ذلك، رأى نفسه يسبح مع حوت أزرق جنبا إلى جنب ، يقف فوق أعلى قمة فى العالم ، ثم يغوص فى أعماق أعماق المحيطات ..
حتى عاد إلى واقعه ..
نظر د. منير حوله فرأى الحجرة خالية تقريبا ، لا يوجد فيها غير العجوز وكان منهمكا فى ترتيب المكان مع صبيه وهو طفل صغير نحيل الجسد ..
قال بصوت خافت :
- ماذا حدث ؟!
ترك العجوز ما كان يفعله ثم اتجه إليه قائلا:
- حمدا لله على السلامة، لقد عدت أخيرا.
سأله د. منير:
- ماذا فعلت بي ؟! ما هذا الشيء الذى فتح لي كل هذا العالم الرحب..
ضحك العجوز ،ولم يجاوبه..

قام د. منير من مكانه منهكا. .وطلب من العجوز أن يأتي صبيه معه حتى يصبح دليلا له على الخروج من المقابر..
وافق العجوز وذهب الطفل الصغير مع د. منير حتى يرشده إلى خارج المكان ..
أثناء السير تمكنت فكرة مجنونة منه، فقال للصبي الصغير:
د. منير: هل أنت قريب لهذا العجوز؟
الصبي: المعلم (هلباوى) ليس بقريبي، ولكنى أعمل لديه مقابل طعامي
د. منير: ما هي الأعشاب السوداء التى يضعها (هلباوي) فى المعسل
الصبي: لا أعلم ..هو لديه أكياس كثيرة يوجد بها تلك الأعشاب
د. منير : هل يبيعها؟
الصبي: لا ..لقد طلب منه أكثر من شخص هذا الطلب ورفض ..
د. منير : ما رأيك بألف جنيه للكيس ؟!
وقف الصبي مكانه فى ذهول ..
ثم ارتجف وقال :
- ولكنه لو علم بذلك سيقتلني
د منير :- لن يعلم ..أحضر لي كيسا غدا و سأنتظرك فى أول المقابر مقابل المبلغ
صمت الصبي فى تفكير ..
ثم ابتسم ..
وتمت الصفقة بنجاح..

كان العجوز ينظر لدكتور منير فى ذهول ولا يزال قابضا بيده على معطفه وهو يصرخ:
- هذه الأعشاب لا تستخدم إلا بحذر ..أنت سرقتها مني. أنا أتحكم فى قوة تلك الأعشاب.
قال له د. منير فى استغراب:

- ما هي تلك الأعشاب ؟!هل هي نوع من المخدرات ؟
أفلت العجوز قبضته وقال:
- كيف تستخدم شيئا لا تعرفه فى عقار؟! حتى لو كانت مخدرات ..كيف تضعه فى عقار وتحقن به ابنك؟! ..يا لك من مغرور أناني..
قال د. منير فى قوة:
- مرة أخرى أسألك، ما هي تلك الأعشاب؟
صمت العجوز برهة ،ثم قال:
- تعال معي
خرج د. منير مع العجوز خارج الحجرة، ثم سار قليلا فى المقابر حتى وصل أمام حجرة واسعة للغاية مغلقة من الخارج ..
أشار العجوز إلى الحجرة الواسعة وقال:
- هذا مدفن مهجور منذ فترة بعيدة ، يرقد فيه عدد من الجثث، كانت مذبحة من تلك المذابح فى فترة من فترات الاستعمار الفرنسي على مصر ..كلهم دفنوا هنا..
قال د منير فى تساؤل:
- ما علاقة هذا بالأعشاب؟
أكمل العجوز قصته:
- فى منتصف كل شهر هجري، وفى الليل تسمع هنا فى تلك الغرفة صرخات مكتومة، سمعتها وفزعت..
ثم عادت تتكرر فى الشهر التالي ، تجرأت فى الصباح واقتحمت المدافن، رأيت الأرض تفترشها تلك الأعشاب السوداء ..ذهلت ..لكنى جمعتها ووضعتها فى أكياس صغيرة ..
حتى راودتني فكرة ملعونة، ووضعت تلك العشبة فى أحجار المعسل ورأيت المعجزة.. عالم يفتح لك، وكأنك خرجت من الدنيا لدنيا أخرى تحلم بها..

كل منتصف شهر هجري أسمع الصرخات وفى اليوم التالي أجمع الأعشاب من الأرض.

.

اتسعت عينا د. منير فى ذعر وهو يقول:

- هل تقصد ؟!

أومأ العجوز برأسه وقال:

- بلى ..انها أعشاب جنية، تنتج من الجن والعفاريت والأشباح ..

صمت قليلا ثم أردف فى بطء:

- ولهذا أسميتها عشبة الجن ..

*****

دلف د. منير الى منزله، ذاهلا لا يصدق ما سمعه ..

اتجه إلى غرفة طفله ، فرأى بابها مفتوحا ..

- مدام (يسرية)..

نطقها وهو يبحث عنها فى أرجاء الحجرة ..

تراجع فى ذعر وهو يراها جالسة على أرضية الحجرة تنظر إلى الفراغ فى رعب ..

اقترب منها ، وأمسك ذراعها ..

- ماذا بك ؟!

صامتة ، ذاهلة. .

نظر د. منير إلى طفله الذي كان يجلس على فراشه فى هدوء. .

بكل الحنق قال د. منير:

- ماذا فعلت ؟!

لمح نظرة ساخرة ،مخيفة فى عين طفله ..

شعر برجفة باردة فتراجع عن ثورته، ثم أخرج هاتفه ليتصل بسيارة اسعاف، فكان يبدو عليها الانهيار التام.

تيقن أنه لا سبيل سوى القضاء عليه..

لم يعد طفله ..
حاول التشويش على أفكاره ؛ عندما لمح ابنه الصغير ينظر له بثبات مخيف وكأنه يقرأ أفكاره..
حاول أن يبتسم فى وجهه ..
لكن هيهات ..
لقد أدرك الحقيقة ..
ولا سبيل للتراجع..

تبقت أيام قليلة على المؤتمر العلمي ..
لن يسمح بحدوث شيء يجعله يفشل أمام الجميع ..
قرر أنه سيبقى داخل منزله مع طفله، وحدهما دون أي دخيل ..
ستمر تلك الأيام وهما سويا، وينتهي من تقاريره، وأوراقه، وأبحاثه التى سيعلنها أمام الجميع ويثبت صحة نظريته ..
وقف أمام طفله ينظر له ويقول:
- ها نحن سويا دون دخيل، حتى موعد المؤتمر ..
وفى أعماق أعماق عقله قرر أن يتخلص منه بعد ذلك ..
سيغلق بوابة الجحيم .

أنهى أبحاثه و تقاريره كلها ..
قرر أن يتخلص منه بعد المؤتمر العلمي، سيجعل العالم كله يصفق له فى فخر، ثم يتخلص من طفله بطريقة لا تثير الشك ..
طريقة تناسب طفله الشيطاني ..

كان الحشد كبيرا أمام منصة المؤتمر التى يقف خلفها د منير ..

وضع طفله فى حجرة زجاجية وأحاطت به الأسلاك التى ترسم إشارات المخ ..
وقف د. منير مختالا فخورا وقال:
- اليوم أثبت لكم صحة نظريتي التى تكلمت عنها منذ عام ونصف تقريبا ..
اليوم سنرى جميعا كل الأدلة والتقارير وردود الفعل لدى طفلي لتأكيد صحة العقار ..
وبدأ في إجراء بعض التجارب أمامهم ..
كان كل شيء يؤكد نجاحه..
وانتهى المؤتمر ..
تنهد د. منير فى قوة وهو ينظر إلى طفله الصامت داخل الحجرة الزجاجية نظرة أخيرة ثم ضغط زرا صغيرا فى جهاز صغير يحمله فى الخفاء.
فجأة ، ارتعشت الكهرباء فى قاعة المؤتمر ، وانزعج الحاضرون والأجهزة تصدر شرارات كهربية ..
وأمام الجميع ، هرول د. منير نحو طفله فى فزع تمثيلي وهو يصرخ :
- طفلي ..
استطاع أحدهم فصل التيار الكهربي في سرعة ، وإخراج الطفل من مكانه..
وأمام الجميع كان جثة هامدة ..
صرخ د. منير فى قوة :
- كيف حدث ذلك ؟ من المسئول عن تأمين التيار ..من قتل طفلي؟
انهار أمامهم واندفع الجميع يحاولون مواساته. .
واندفعت الدموع من عيني د. منير..
وحاول أن يمنع ابتسامة شرسة تحاول القفز من ملامحه..

كانت جنازة كبيرة للطفل ..
الكل شارك فيها ، وهم يحاولون مساعدة د. منير ليخرج من حالة انهياره.
رحل الجميع ، وصمم د. منير على البقاء ..

استقر فى مكانه حتى عم الصمت والظلام ..
وفى هدوء اتجه نحو حجرة العجوز هلباوي وطرق بابها..
طالعه وجه العجوز وهو يقول:
- لقد فعلتها يا د منير ..كان طفلك سيجلب خرابا على الكل..
ابتسم د. منير وهو يجلس ويقول:
- ألا زلت تغلق المكان خوفا من الشرطة ؟
العجوز :
- بلى ..
د. منير:
- هل تعلم ان طفلي كان يقرأ الأفكار أيضا ..ويستطيع أن يخترق الذاكرة ليعلم كل شيء حدث فى حياة الآخرين ؟
العجوز :
- أنا متأكد أن بإمكانه أي شيء
د. منير:
- مالا تعرفه انه علم بأنك الذي أخبرتني بكل شيء ، وأنك الذي أقنعتني بقتله..
ارتبك العجوز وهو يقول :
- وكيف عرفت أنه علم ذلك ؟!
ابتسم د. منير فى سخرية :
- وما لا تعلمه أيضا أن هذه الروح الشيطانية يمكنها أن تتحرر وتنطلق من جسد إلى جسد آخر ..
ارتجف العجوز وبدا له الموقف وهو يقول:
- ماذا تريد أن تقول ؟!
د. منير :

- وجود الروح فى طفل رضيع مملة كأنها فى سجن ضيق ..أما فى جسد عالم فذ فهذا أمر محبب ..لقد استمتعت كثيرا بحادث المؤتمر وأنا أتخلص من طفل صغير لا حول له ولا قوة، مجرد طفل رضيع صامت .

ثم صرخ فى شراسة والتمعت عيناه قائلا :

- الآن سترى كل حياتك وهى تمر أمام عينيك وكل مخاوفك. .ستتمنى الموت ولن أرحمك،أنا أجسد لكم مخاوفكم، سترى أمامك كل ما خشيت منه طوال عمرك، ولن تستطيع الفرار

وارتفع فى المكان صوت صرخة العجوز ..

بعيدا..

وفى مقابر أخرى..

وسط الظلام ..

اندفع رجل يجري وهو يصرخ:

- عوض ..عوض..

خرج من أحد الحجرات الموجودة وسط المقابر رجلا نحيلا يرتدي جلبابا، وقال:

- ماذا بك يا (سيد)؟

سيد :

- رأيتها مرة أخرى ..صدقني رأيتها ..

عوض:

- رأيت ماذا ؟!

سيد :

- السيدة التى تحوم حول القبر ..شبح يخرج من هذا القبر ثم يحوم حوله ..فى هذه المرة خرج من المقابر كلها ..صدقني

عوض :

- وهذا القبر ، من آخر من دفن فيه ؟

سيد :

- انه قبر زوجة د. منير .. (منير الدسوقي)

(تمت)

*****

صفعة دون صوت

جلست كالعادة في ذلك الركن الصغير من مطعمي المفضل، فمنذ أن وطأت قدماي هذا المكان وأنا أستقر هنا، أحضر عندما تغيب الشمس تماما؛ فأنا كائن ليلي كالوطواط ؛أنتعش عند غروب الشمس ،أعزب، أمقت الحياة الزوجية..

وكالعادة أيضا أحضر لي الجرسون طعامي، الذى أتناوله بدون أن يسألني فهو يعلم ما أريده تماما،وبدأت فى تناوله بتلذذ..

وفجأة لمحتها ..فتاة رائعة الجمال ترتدى حجابا ورديا يناسب ما ترتديه، عيناها لها بريق لامع جعلني أشعر برعشة باردة تمتلكني..

كانت تجلس بمفردها، أمامها طعام انتهت منه ، كانت تنظر لي دون أن تخفض عيناها لدرجة جعلتني أبادلها النظرة.

استمرت في التحديق بي..

وتسارعت الخواطر في رأسي ...

يبدو أنها من تلك الفئة من الفتيات اللاتي يختبئن وراء الحجاب والملابس المحتشمة..

إنها بالتأكيد كذلك..

واتخذت قراري..

سأذهب لها وأحدثها..

صيد سهل..

وبالفعل بدأت في التحرك ..حتى رأيت فتاة تتجه نحوها ..وتحدثها ..

سمعت بعض العبارات تأتي من بعيد..(أنا دفعت الحساب ...هيا بنا ..احترسي..)

ثم رأيتها تقوم ببطء من مكانها، وتتحسس طريقها ..

هنا ..أدركت سبب هذه النظرة الخاوية ، النظرة التي لا ترى شيئا أبدا..

رأيتها ترى طريقها في عيون صديقتها، وهى تتجه صوب باب المطعم..

ترفع يدها اليمنى؛ لتتحسس طريقها للخروج ، حتى لا تصطدم بشيء..

بدت كملاك نقي فى نفس اللحظة التى شعرت فيها بالضآلة. .
تمتمت فى لهجة خافتة لم يسمعها أحد: (سامحيني)..
توقفت تماما عن تناول طعامي. .
غصة مريرة اجتاحت حلقي..
ودموع فلتت مني ،لتسقط على أرضية المطعم فى صمت..
(تمت)

*****

حكمة اللّه

أشار صديقى إلى رجل مسن ،انحنى ظهره ،ضاعت ملامح وجهه من أثر التجاعيد،يسير بصعوبة شديدة،ثم قال صديقي فى لهجة تعجب:

-سبحان الله!شخص مسن لهذه الدرجة، ويحيا بصعوبة بالغة، ومن الواضح معاناته في الحياة ومازال حيا يرزق .. وشباب مثل الورد يموت يوميا !

قلت له مؤكدًا:

-حكمة الله ..الله أعلم بعباده.

كان الرجل العجوز قد اقترب منا وجلس بجانبنا وهو يلهث..

قال لنا فى صوت متهدج:

-السلام عليكم

قمنا بالرد عليه ، فأكمل حديثه:

-الحمد لله على كل شيء، والله لقد أرهقت تماما ..كل يوم أغادر البيت لأحضر مستلزمات كثيرة، مرة الخبز، ومرة أخرى الطعام ، كل يوم طابور مختلف.

قلت فى تساؤل:

- يا والدي، لماذا لا يذهب غيرك لقضاء تلك الاحتياجات ؟!

ابتسم فى مرارة وقال:

-من!؟ الحاجة توفت منذ زمن بعيد، ولا يوجد لي غير(إبني)..لكنه من الحالات الخاصة .. عشرون عاما لكنه متأخر عقليا..لا يتحرك، ولا يمشي. .أنا الذي أرعاه حتى يأتي قضاء الله ، وهو وحده يعلم ماذا سيفعل بدوني في تلك الحياة المريرة.

صمت ،وترقرقت عيناه بالدموع ،فأسرع بتجفيف وجهه حتى لا نرى دموعه المتساقطة،وحاول الابتسام لكن ملامحه خدعته،ولم تفلح مراوغته من مشاعره من أن ندرك حجم المأساة ..

صمتنا كلنا لحظة..

كانت ألسنتنا عاجزة عن الكلام، وأنفاسنا ثقيلة كمن أصابه الخدر ..
ثم نظرت إلى صديقي وهمست له:
-هل أدركت حكمة الله؟
ثم ساد الصمت التام مرة أخرى. .
(تمت)

*****

الرحلة

سقط ..

وعندما سقط بدا كل شيء واضحا ..

كان متماسكا طوال تلك الأعوام أمام زملائه فى عمله، مبتسما، هادئا، لا يشكو ولا يتذمر.

كان منضبطا فى عمله، متفانيا فيه لأقصى درجة ..

لا يتكلم كثيرا مع من حوله، ولا يعلم أحد عن همومه الشخصية شيئا يذكر..

يبدو ممتقا برغم ملابسه المتواضعة، وراتبه الضعيف..

مرت السنوات وهو بتلك الحالة ..حتى سقط..

كان فى مقر عمله يعمل بجد حتى أصابته أزمة قلبية مفاجئة، فترنح لحظة وسقط .. هرول إليه زملاؤه ولكن بلا جدوى..

كان قد فارق الحياة ..

كانت صدمة بالنسبة لهم وفاته بهذا الشكل المفاجيء..

كانوا فى حيرة فهم لا يعلمون رغم تلك السنوات شيئا عن حياته أو منزله أو أسرته ..

كان متحفظا فى كلامه حول حياته الخاصة، واحترموا ذلك الأمر ولم يتكلم أحد معه بشأن ذلك..

أقترح أحدهم أن يبحث فى محفظته الخاصة عن شيء يقودهم إلى منزله أو رقم هاتف يقودهم لزوجة أو إبن..

بالفعل بدأ البحث..

بدأ فى هاتفه الذى لم يكن يحوى سوى أرقام قليلة لم تقودهم لشيء فكلها كانت أرقام تخص العمل..

توجهوا إلى محفظته التى كانت تحتوى على مبلغ مئة جنيه بالرغم أنه كان أول الشهر..

وعدد كبير من الأوراق..
الورقة الأولى عبارة عن شهادة وفاة زوجته التى ذكر فيها أنها رحلت منذ فترة بعيدة..
إنه أرمل ..
الورقة الثانية عبارة عن خطاب من دولة خليجية أرسله له ابنه ومن خلاله أدركوا انه الابن الوحيد وأنه استقر فى تلك الدولة، وتزوج هناك ..
له ابن وحيد وتركه منذ فترة ..
هكذا بدأ ترتيب الأحداث ..
ورقة ثالثة عبارة عن روشتة طبيب تكشف عن انسداد فى عدة شرايين بالقلب، وأدوية تلتهم راتبه تماما..
كان وحيدا، فقد زوجته، وتركه ولده ..
كان وحيدا، مريضا، بدون أن يفقد ابتسامته أو يشكو أو يطلب العون ..
كانت رحلته مرهقة كما بدا من أوراقه ..
تجمعت الدموع فى عيونهم و أيقنوا أنه الآن أصبح على عاتقهم، وبالرغم من أنه عاش وحيدا طوال حياته، لن يتركوه الآن ..
لن يسمحوا بذلك كما سمحوا به طوال فترة حياته ..
على الأقل خلال الساعات القليلة المقبلة ..
ليعود مرة أخرى وحيدا ..
تمت

*****

أزمة كباب

خرج الجميع من المسجد بعد صلاة الجمعة، ووقف طفل ممتلىء البنية بجوار والده الذي انحنى ليرتدي الحذاء في تعجل واضح، كان ينظر فى سعادة إلى الجمع الغفير الذى انتهى من الصلاة وانتشر فى الأرض يسعى.

ثم نظر لوالده وقال متسائلا :

ـــ لقد وعدتنا يا والدي بأن الغداء اليوم خارج البيت، أليس كذلك؟

ضحك والده وقال:

- ماذا تريد أن تأكل يا حبيبى ؟

ظهرت على وجه الطفل بعض الحيرة الطفولية، ثم قال فى لهجة اتسمت باتخاذ القرار:

- كباب، نأكل كباب مثل المرةالسابقة، لقد كان لذيذا.

عقد والده حاجبيه فى تفكير، ثم قال مبتسما:

- اتفقنا، لا أستطيع أن أرفض لك طلبا.

دار حوارهم هذا، وكان بجانبهما طفل آخر كان أيضا يصلى مع والده، كان يستمع إليهما فى حيرة شديدة ،ثم سأل والده فى ذهول :

-أبي، هل يصلي في المسجد غير المسلم ؟.

قال الأب وهو ينظر إلى ابنه فى تساؤل :

- لا يا ولدي، المسلم فقط هو من يصلي بالمسجد، لماذا تسأل؟

قال ابنه وقد ازداد ذهوله وهو يشير للطفل الممتلىء:

-إذا كان كذلك بالفعل، فكيف سيأكل هؤلاء الكباب، ألم تخبرنا بأنه طعاما محرما!!!

تمت

*****

هدية إلهية

توترت أعصابي، بل تحطمت تماما وأنا أنتظر نتيجة هذا الاختبار، أنظر إليه في ترقب وتحفز حتى ظهر خط وردي اللون، باهت تماما، لا يجيب على سؤالي ولا يُطمئن قلبي.

نظرت إلى زوجتي وقلت لها فى توتر:

-لست أدري، الخط باهت تماما ولا أعلم هل النتيجة سلبية أم إيجابية ؟!

كان قد مرت عشرة أعوام كاملة على إنجابها لابنتي الثانية، واكتفينا بالابنتين وخضنا حياتنا المليئة بالمطبات المالية والمعنوية وفي قرارة نفسنا أن هذه هي عائلتنا الصغيرة ولن يكون هناك فرد جديد بها بعد الآن، حتى ذلك اليوم الذي بدأ الشك يدق قلوبنا، بل يحتلها في ثقة متناهية، أعراض حمل بدأت في الظهور أدت إلى اللجوء إلى اختبار لم يعطي نتيجة واضحة أكثر من مرة، لهذا تم تحليل دم للتأكد من النتيجة.

كان القلق ينهش جسدي؛ فلم أكن مؤهلا نفسيا أو جسديا لطفل جديد يغزو حياتي بعد أن تجاوزت سن الأربعين، كنت قد اكتفيت بما رزقه الله لي ولم أعد أفكر ولا أتمنى طفلا يقتحم حياتي ويغير المسار الذي كنت رسمته لي والروتين اليومي الذي تكيفت ظروفي معه، واتضحت النتيجة، ألقاها طبيب التحاليل وهو يبتسم ويقول:

_مبارك . النتيجة إيجابية.

كنت أنظر إليه في شرود، لم أبادله الابتسام، لم أشعر بوقع كلمة (مبارك) ولم أتلفظ حرفا واحدا وأنا أتناول الملف منه وأغادر المعمل وأشعر بالانهيار.

تيبست قدماي أسفل العمارة، أجريت مكالمة لزوجتي أرسلت من خلالها مشاعر الانهيار إليها، تحدثت إلى أصدقائي، منهم من هنأني وبارك لي ومنهم من أحبطني وأرسل لي رسالة خفية توحي بأن التخلص من الجنين هو الحل المناسب؛ فلم يعد العمر مناسب أو الظروف المالية تتحمل عبئا إضافيا .

بحثت في شبكة الانترنت عن حرمانية التخلص من الجنين فى الأسابيع الأولى، بدأت أبحث لنفسي على ثغرة لضميري ليطمئن ويغفو في سلام، وانهالت الفتاوي من كل صوب،

منهم المؤيد للفكرة ومنهم المعارض وبشدة حتى استسلمت لضميري وقررت أن أترك الأمر لله وحده، لكني وفي قرارة نفسي كنت حزينا، خائفا، لا أتحمل الفكرة بعد طول غياب.

كانت أول زيارة للطبيب تحمل لي أحاسيس مركبة، أعوام كثيرة مرت كانت تلك المشاعر قد ضمرت واختفت، أجلس بجانب زوجتي أتأمل الجميع وأتوهم نظرات تتفحصني، دقائق مرت كساعات لأراني بعدها داخل حجرة الطبيب يبتسم ويبارك ويتفحص زوجتي التي استلقت على منضدة ليُضيء جهازا وتطالعني صورة مبهمة لا أتبين ملامحها، أخبرني أنها الجنين، نقطة صغيرة جعلتني أرتجف وأشعر ببرودة شديدة وتدمع عيناي واستغفر الله،

حياة جديدة ألمحها تزيل الغبار عن أحاسيس كانت في طي النسيان، أدركت وقتها أن وجوده في حياتي لامفر منه ولن أتنازل عنه، هدية إلهية أرسلها الله لي رغم كل التدابير التي تمنع تكوينه في رحم زوجتي، أيقنت أن لوجوده حكمة قد لا أتبينها الآن أو أن عقلي لا يستوعب مثل تلك الحكم الربانية.

استمرت رحلة المتابعة الطبية وفي كل مرة أراه ينمو أمامي وأتفحص ملامحه المبهمة ويخبرني الطبيب أنه ذكر، ورغم أنني لم أكن من فئة التحيز للمولود الذكر إلا أن هناك سعادة رهيبة سرت في عروقي، سعادة منحتني طاقة جديدة أواصل بها حياتي الرتيبة، وفي كل مرة كانت سورة (يوسف) تتردد في المكان وكأنها إشارة للاسم القادم في دنياي.

رغم الضائقة المالية إلا أن هناك رزقا إلهيا جاء من السماء في تلك الفترة، رزقا أزال هموم دنيوية كانت على عاتقي طوال تلك الرحلة حتى يوم الإنجاب، ذلك اليوم الذي يدمر خلاياي العصبية تماما، ذلك اليوم رأيت حولي عائلتي وعائلتها وكأنه عرس

جديد لنا ليمر الوقت لأراه أمامي كتلة طرية مازالت ملامحها غامضة تتشبث بي في براءة وتنظر لي بأعين زائغة، أحتضنه ليملأ فراغا لم أكن أتخيله أو أتوقع وجوده، ساعات قليلة كنا بالمنزل وعيناي تتشبث به، قلبي تم اعتصاره وقولوني تمزق عندما بدأ لونه يميل إلى الاصفرار، وبدأت مخاوف احتجازه في حضَّانة تزداد وتنمو وتصبح هواجس تطاردني ليلا ونهارا، تمسكه الشديد بي وصراخه عندما تم سحب نقاط من الدم لتحليلها كان يفتتني إلى أشلاء مبعثرة، مر شهر كامل وهو لا يزال يتماثل الشفاء حتى انخفضت النسبة في الدماء وبدأت في تنفس الصعداء، شهر كامل كان عقلي عاجز عن التفكير بسببه حتى عاد لونه الطبيعي يكسو ملامحه.

عندما يرسل الله هدية من السماء فهو لا يقدمها إلا لحكمة ربانية نعجز نحن على تفسيرها، وربما نستوعبها بمرور الوقت وهذا ما حدث معي، لقد رحل والد زوجتي وطفلي لم يتجاوز عمره شهر واحد، ترك حزنا وألما استطاع (يوسف) مداوة جزءا كبيرا منه، كان مصدر إلهاء لزوجتي يقلل من حجم المرارة والحزن ويخفف من ألم الفقد، كنت أنظر له وأعلم بأن الله أرسله في هذا الوقت لغاية ما، رسالة طمأنينة تربت على أكتافنا لنطمئن، والآن وبعد عام وستة أشهر كاملة على ميلاده أعترف بأنني كنت مخطئا عندما غضبت في بداية الأمر وحاولت منع وجوده في الحياة، استغفرت الله لعله يمحو ذنب التفكير ووسوسة الشيطان، أصبح احتضانه لي هو معنى الحياة، الماء البارد الذي يُطفيء النار المستعرة في قلبي من حياة قاسية، ضحكته ودلاله البلسم الشافي لي من كل جرح يعصف بي، وهل هناك أرق وأحن من أيدي صغيرة تحتويك في رقة وتربت على كتفك في براءة؟

هل هناك ألذ من قبلة صغيرة تقدم لك بكل ترحاب من فم رقيق باسم؟

وهل هناك أفضل من تلك الهدية الإلهية؟

تمت

*****

الفهرس

عبر الزمن 5
العمدة 9
السر في البئر 13
ساعة واحدة لا تكفي 17
ناقص حضرتك 20
حظر 22
الشيطانة 25
جبر الخواطر 33
رسائلي إليها.. 36
حلم شرعي 40
اللحظات الأخيرة 42
تحت الأرض 44
حالة طرد 46
الاعتراف الأخير 49
الكاميرا الخفية 51
النور 54

السر.....56

نجم سوبر ستار.....59

وعد.....62

في حضرة الآخر.....65

الخادم.....66

أحلامك أوامر.....83

الحب والحرب.....85

التجربة.....89

صفعة دون صوت.....110

حكمة الله.....112

الرحلة.....114

أزمة كباب.....116

هدية إلهية.....117

الفهرس.....120